جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية



الجدل مع غير المسلمين

(دراسة عقدية)

بحث مقدم من الدكتور

عبدالرحمن عباس سلمان عبدالرحمن

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والفلسف
كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط

الجدل مع غير المسلمين دراسة عقدية

عبدالرحمن عباس سلمان عبدالرحمن
قسم العقيدة والفلسفة، كلية أصول الدين والدعوة،
جامعة الأزهر فرع أسيوط، مصر
البريد الإلكترونى: abbasd.bn 495 @yahoo.com

ملخص البحث:

تهدف الدراسة إلى الكشف عن القواعد والضوابط المنهجية التي قررتها وامتازت بها العقيدة الإسلامية فى نصوصها الشرعية من الكتاب والسنة المطهرة وتطبيقاتهما لضبط العلاقة مع المخالفين فى الاعتقاد باعتبار هذا الاختلاف سنة كونية ومشيئة إلهية وتسمى من الناحية التوظيفية الجدل السلمي مع غير المسلمين حيث إن نصوصها تجاوزت طبيعة الاختلاف بين الأديان والثقافات فقدمت صورة تعنى بتدبير هذا الاختلاف والتنوع بشكل عقلاني وموضوعى ووضعت بذلك منهجاً للمجادلة مع المخالفين يشكل نوعاً من الحماية والحراسة للروابط الإنسانية والاجتماعية بين البشر كافة نافية بذلك مسلك التعصب أو الانغلاق والتطرف من خلال تقريراتها التى اعتمدت فيها على الاستدلال والبرهان كطريق للتحاكم مع الآخرين بما يعلى من قيمة إحقاق الحق، وقد استخدمت المنهج التحليلى الذى يعنى بعرض النصوص وتحليلها بغية الوصول إلى النتائج المرجوة من البحث فقمت بتحديد المفاهيم التى يدور عليها البحث لاستجلاء الحقيقة المرادة منها وذلك لضبط الخطاب التواصلى بين المتجادلين وتوظيفها بما يدفع الغموض الذى يكون سبباً فى التشويش والارتباك الفكرى ثم قمت ببيان طبيعة الجدل السلمى ومنهجه وذلك بالتركيز على أسسه وتطبيقاته العملية وما يترتب عليها من نتائج منها التأكيد على أن الجدل السلمي في الإسلام له موازين قيامها على نصوص القرآن ونصوص السنة الصحيحة

المطهرة وبالتالي فكل شيء يتم داخل هذا النطاق يكون منهجياً من كافة جوانبه فالإنسان الواعي المطبق لذات المنهج يقدم خدمات لذاته وغيره وبهذا يمثل الجدل قيمة باعتبار أنه يعقد المصالحة بين الإنسان وذاته وبينه وأقرانه وبينه وخصومه وذلك من شأنه تحويل الجميع إلى أن يكونوا أصدقاء بدل أن كانوا أعداء وتوصى الدراسة بالاهتمام بمحاور الجدل السلمي، والتركيز على أنها تعتبر معايير ثابتة يمكن الاهتداء إليها والتطبيق عليها في ظل الانفتاح العلمي والثقافي إبان العصر الذي نعيشه.

الكلمات المفتاحية: الجدل، غير المسلمين، العقيدة، الأسس، المحاورة، القرآن، السنة.

Debate with non-Muslims is a Dogmatic Study

Abdelrahman Abbas Salman Abdelrahman
Department of Faith and Philosophy -Faculty of Fundamentals of Religion and Dawa-Al-Azher University –Assiut Branch –Egypt
E-Mail: abbasd.bn495@Yahoo.com

Abstract

The study aims at the revealing of the systematic rules, methodological and regulations decided and characterized the Islamic doctrine in its legislative texts of the Holy Qur'an and the purified Sunnah, for controlling the relationship with those who disagree with the believing that this difference is a universal phenomenon and a divine will.In terms of function, it is called the peaceful debate with non-Muslims, as its texts transcend the nature of the difference between religions and cultures, and presented an image that is concerned with managing this difference and diversity in a relational and objective way. And thus it developed a method for the dispute with the disputants This forms a kind of protection for the human and social bonds between all human beings, and denies the fanaticism or extremism though the reports in which it relied on inference and proof with the others as a way to judge the truth higher.And I used the analytical method that deals with presenting and analyzing the texts in order to reach the desired results of the research. So, I defined the concepts that the research revolves to clarify the desired truth , and to control the communicative discourse between disputants which leads to the ambiguity caused confusion and intellectual distraction.Then ,I explained the nature and method of the peaceful debate by focusing on its foundations and scientific applications and the results of that amongst them is the assertion that peaceful debate has scales that are based on the Qur'an and Sunnah texts.Therefore, everything that take place within this scope is systematic in all its aspects. The conscious person who

applies this approach provides service for himself and others.In this way, the argument becomes a value as it complicates reconciliation between the person and himself, between the person and his peers and between him and his opponents. This turns everyone into being friends instead of being enemies, The study recommends paying attention to the axes of the peaceful debate and emphasizing that these axes are considered fixed standards that can be guided by and applied in the light of the scientific and cultural openness during the era in which we live.

Key words: Debate, Non –Muslims –Doctrine, Foundations, Dialogue, Qur’an, Sunnah.





المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آل بيته الطاهرين وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد،

فإن الإسلام دين الله للعالمين، منذ آدم (عليه السلام) إلى خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، وسيظل عاملاً في الناس إلى يوم الدين، قال تعالى: "**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**"([1]) وهو أمر استقر في العلم الإلهى وقدره الله وشاءه لحكمة يعلمها سبحانه من أجل تدبير شؤن خلقه وهدايتهم، يقول الإمام/ الفخر الرازى: "ففي آخر زمان المبعث أنزل الله شريعة كاملة وحكم ببقائها إلى يوم القيامة، فالشرع أبدا كان كاملا، إلا أن الأول كمال إلى زمان مخصوص، والثاني كمال إلى يوم القيامة فلأجل هذا المعنى قال: اليوم أكملت لكم دينكم"([2]) وقال النبى (ﷺ): "**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**"([3]).

---

(١) سورة المائدة جزء الآية رقم (٣).

(٢) الإمام/ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازى (ت ٦٠٦هـ)، تفسير الرازى المسمى (مفاتيح الغيب)، ج١١ ص٢٨٧، ط ثالثة، دار التراث العربي، بيروت، عام ١٤٢٠هـ.

(٣) الإمام/ محمد بن إسماعيل البخارى، صحيح البخارى، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ج١ ص٧٤، حديث رقم (٣٣٥) ط الأولى، دار طوق النجاة، عام=

ولما كان في الناس من يقبل على شرع الله ويلتزم به، ويسلم أمره لربه، فإن هناك من يبقى على أمره من المخالفة لهذا التوجه الفكري، ويتخذ كل نفر منهم توجهاً يعتبره معتمده في حياته، وهم غير المسلمين، وبالتالي يبقى الناس فريقان أحدهما: أهل الإسلام، وثانيهما: غير المسلمين.

ولما كانت أمور الحياة يقع فيها التقاسم بين المسلم وغيره بما يترتب عليه من تعاملات ربما تؤدي إلى احتكاكات أو تنازعات، فإن الإسلام وضع جملة من المبادئ العامة، يحتكم إليها المسلم في تعامله مع الآخر، يمكن أن يطلق عليها من الناحية التوظيفية اسم "الجدل السلمي "مع غير المسلمين.

وحتى لا تكون تلك المفردات بمثابة إطارات لغوية مفرغة عن الوظيفة الاستهدافية، فقد حرص الإسلام على أن تكون تلك المبادئ، ذات طبيعة توظيفية قابلة للتطبيق العملي، سواء أكان ذلك عن طريق الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، أو عن طريق الدفاع عن دين الله بما يحقق الأهداف المشروعة، وذلك ببيان ما يمكن أن نطلق عليه أصول العلاقة، بحيث لا يتناول المسلم معتقدات الآخر بالسب أو القذف، حتى لا يبادله بمثل فعله، قال تعالى: **(وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)**(1).

=١٤٢٢هـ، والحديث بتمامه:"أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة".

(١) سورة الأنعام، الآية رقم (١٠٨).

كما لا يتناول آدابه أو سلوكياته بالطعن المباشر عليها، وإنما يقدم نفسه إليه من خلال ممارسات إسلامية تتعلق بالسعي في الأرض واحترام حق الغير في الحياة، وضرب المثال العملي لما يجب أن يكون عليه الفرد الواعي، باعتباره المستخلف عن الله تعالى في عمارة الكون.

لما كان الأمر كذلك، استخرت الله تعالى، وكان موضوع هذه الدراسة هو: (الجدل مع غير المسلمين دراسة عقدية)، وذلك استلزم خطوات عدة ألمح إليها فيما يلي:

أولا: أسباب اختيار الموضوع:

لما كان السبب هو ما يتوصل به إلى غيره وليس جزءًا من حقيقته، فقد ظهرت لي جملة من الأسباب، أبرزها:

الأول: محاولة إبراز ما امتازت به العقيدة الإسلامية، من حيث إن نصوصها تجاوزت طبيعة الإختلاف بين الأديان والثقافات، فقدمت صورة تعنى بتدبير هذا الاختلاف والتنوع بشكل عقلانى وموضوعى، نافية بذلك مسلك التعصب أو الانغلاق والتطرف.

الثانى: بيان ما امتازت به العقيدة الإسلامية فى شمولها، حيث قدمت منهجاً للمجادلة مع المخالفين يشكل نوعاً من الحماية والحراسة للروابط الإنسانية والاجتماعية بين البشر كافة، وذلك بعدم ركونها إلى الجانب الذاتى وحده الذى يدفع الإنسان ككائن مدنى بطبعه إلى الالتقاء مع أخيه الإنسان، فلربما تعرضت هذه العلاقة لشئ من الضعف أو النسيان، فتأتى نصوص العقيدة لتوقظ فى الإنسان هذه النزعة بصفة دائمة حين يعلم المسلم أن تعامله مع المخالفين فى الاعتقاد تحكمه قواعد شرعية تمثل جانباً إيمانياً تعبدياً، فلا تخفت همته أبداً، مما يبرز دور العقيدة الإسلامية فى صيانة الرابطة الإنسانية والعمل على بقائها.

الثالث: إن التعمق فى فهم طبيعة المخالفين ودوافعهم والنتائج المترتبة علـــى موقفهم، قد دفعت إليه نصوص العقيدة الإسلامية حين وضعت الأطر الــشرعية الحاكمة لتلك العلاقة، بما يعلى من قيم التسامح والعدل، فالعناية بدراســة هــذا الجانب تعين على إبراز دور العقيدة الإسلامية فى صيانة وبقاء علاقــة الــسلم والتسامح مع المخالفين فى الاعتقاد، ودفع التوهم الموجود عند بعض الجهلة أو العوام من أن التسامح قد ينبئ عن نوع من الذلة والصغار لــدى المــسلم فـــى تعاملاته مع المخالفين فى الاعتقاد.

الرابع: العناية بالجانب المنهجى الذى اعتمدت عليه العقيدة الإســلامية فـــى تقريراتها التى اعتمدت فيها على الاستدلال والبرهان، كطريــق للتحــاكم مــع الآخرين، بما يعلى من قيمة إحقاق الحق، وقيمة العقل القطعى الذى جعلــه الله ميزاناً للاعتدال عند العقلاء ووسيلة للنقاش ومحــاورة الآخــر عــن طريــق الاستماع لوجهة نظره ومناقشته فيها.

ثانيا: المنهج المتبع فى البحث:

البجث العلمى يعنى العمل المنظم الذى يهدف إلــى حــل مــشكلة معرفيــة باستقراء جميع مكوناتها، لذا حينما شرعت فى بحثى هذا فقد اعتمدت فيه علـــى شرح مكونات الدراسة التى تستند إلى تحليــل نــصوص العقيــدة الإســلامية المتضمنة فى القرآن الكريم والسنة، وتطبيقاتهما والتعرف على طبيعتهــا مــن حيث مجيئها أدلة داعمة ومبرزة للإطار العام الذى يحكم العلاقة مع المخــالفين للمسلمين فى الاعتقاد، والجزئيات المندرجة فيه التى تحدد الأسس التـــى يقــوم عليها الجدل السلمى مع غير المسلمين من الناحية العقدية.

وقد ابتدأت فى هذا البحث بتحديد المفاهيم التى يدور عليهــا البحــث، بغيــة استجلاء الحقيقة المرادة منها، وذلك لضبط الخطاب التواصلى بين المتجــادلين،

وتوظيفها بما يعين على فهم الأسس والركائز التى يبنى عليها الخطاب التواصلى، بما يدفع الغموض الذى يكون سبباً فى التشويش والارتباك الفكرى، ثم قمت ببيان طبيعة الجدل السلمى ومنهجه، وذلك بالتركيز على أسسه وتطبيقاته العملية، وما يترتب عليها من نتائج.

ثالثا: الأهداف والغايات:

من المعلوم أن كل مسألة من المسائل تقوم على أسباب، ثم وسائل، ثم أهداف، وأخيرًا الغايات، وسأحاول الإلماح إلى بعض الأهداف والغايات التي قامت عليها تلك الدراسة، وهي على النحو التالي:

الأول: فى التحاور مع الآخرين إمتثال لأوامر الله تعالى التى تدعو المسلمين إلى إقامة الحجة لتقريب القلوب والعقول إلى الإسلام، استجابة لقول الله تعالى: "**أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**"(1) والمقصود هنا الدعوة إلى طاعة الله تعالى وشريعته التى شرعها لهم من دين الإسلام"(2) وامتثالاً لمبدأ "المدافعة" وهو مبدأ قرآنى يهدف إلى منع الفساد وينمى الخير لإعمار الأرض، قال تعالى: "**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**"(3) ومعنى الآية: "ولولا أن الله تعالى

---

(1) سورة النحل الآية رقم (١٢٥).

(2) الإمام/ محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج١٧ ص٣٢١، ط الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

(3) سورة البقرة، الآية رقم (٢٥١).

يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الأرض وبطلت منافعها من الحرث والنسل"([1]).

الثانى: إن المسلم حينما يعلى من قيمة التحاور والانفتاح مع الآخر المختلف عنه دينياً وثقافياً، فهو يسعى من أجل تحقيق أهدافه الحضارية والاستخلافية كمكلف بواجب الاستخلاف والإعمار والإنقاذ والشهود، والمسلم فى ذلك يقتدى بهدى النبى (ﷺ)، فى حرصه على هداية المخالفين، وبلوغ جهده فى إقناعهم بتصديق دعوته إنقاذاً لهم مما يحيط بهم من الهلكة.

الثالث: إن المسلم حينما يكون ممتلكاً لزمام الحوار مع الذات ومع الآخرين فإن ذلك يؤهله لأن يصبح فاعلاً فى الحوار الحضارى ومسهما فيه، سواء فى مجتمعاته هو أو فى مجتمعات الآخرين، وسواء أكانوا أقلية أو أكثرية.

الرابع: إن تبادل الرؤى التصحيحية فيما يتصل بجانب العقائد بروح التسامح المنضبطة بالقواعد الشرعية والمتبعة للمنهجية العلمية بعيداً عن التشنج والعصبية، فيه تنظيم لعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان بما يحقق له الأمن والاستقرار فى الكون الذى نعيش فيه مما يحول دون نشوء الصراعات الإقليمية أو الدولية على أسس دينية أو مذهبية.

الخامس: تهيئة العقول لقبول ثقافة الحوار، فعند غياب ثقافة الحوار وعدم استعداد كل طرف للتفاهم مع الطرف الآخر يتاح المناخ للممارسات الخاطئة للدين من بعض من ينتسبون إليه، وهذه الممارسات الخاطئة تكون نتيجة

---

(١) الإمام / أبو البركات عبد الله بن محمود النسفى (ت ٧١٠هـ)، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ج١ ص٢٠٧، ط الأولى، دار الكلم الطيب، بيروت، عام ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

التصورات الفردية النابعة من غياب الوعى وعدم الفهم لصحيح الدين من كـــلا الطرفين، وهذه وإن كانت تنسب إلى أصحابها، لكنها أحياناً تتعداهم لتسئ إلـــى الدين نفسه، مما يثير القلق على وحدة المجتمعات الإنسانية واستقرارها.

رابعاً: مكونات البحث ويشتمل على:

مقدمة، وفصلين، وخاتمة.

١- **مقدمة:** أتناول فيها: أهمية الموضوع، أسباب اختيـــاره، أهـــداف البحـــث، المنهج المتبع فى البحث، مكونات البحث.

٢- **الفصل الأول:** تحديد المفاهيم وتوظيفها.

٣- **الفصل الثاني:** طبيعة الجدل السلمي ومنهجه.

٤- **الخاتمة وتتضمن:**

(أ) أهم النتائج،

(ب) أهم التوصيات،

(ج) المصادر والمراجع.

الفصل الأول
تحديد المفاهيم وتوظيفها

خلق الله الناس مفكرين، وجعل اللغة وسيلة مشتركة بين المتحـــدثين، ولمّـــا كانت ألفاظ اللغة متعددة المعاني، حيث إن اللفظ الواحد يحمل جملة من المعاني المتزايدة، فقد بات من الضروري تحديد المعنى المـــراد تداولـــه فـــي الألفـــاظ المستعملة طبقاً لقاعدة علمية يتملك بها اللغويون، وهي أن اللغة حّمالـــة أوجـــه ومعانيها تتبعها معان أخرى، كموج النهر المتدفق من عل، لا يحمل سوى مـــا ينفع الناس"([1]).

غير أن اللغة بنت المجتمع ولذا يحدث لها نوع من التطور المنـــتظم طبقـــاً لحركة المجتمع الذي تعيش فيه، حتى قالوا: إن اللغة بنت المجتمع وهـــو الأب الشرعي لها، يدل عليه أن الله تعالى ما بعث رسولاً إلا بلسان قومه حتى تكون المعاني المتداولة بينهم معروفة والألفاظ الجارية فيهم ذات دلالة محددة وبالتالي تتحقق مهمة النبي فى بعثته إلى قومه على أتم الوجوه وأوفاها، قال تعالى: "**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَـــن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**"([2]).

وعليه فاللغة هنا وسيلة بيان تعين على الإفهام فالرسول يتحدث "بلغَة قومـــه لِيُبَيِّنَ لَهُمْ بلغتهم مَا أمروا بِهِ وَمَا نهوا عَنهُ وَيُقَال بِلِـــسَان يقـــدرُونَ أَن يتعلمـــوا

---

(١) قال تعالى: «**وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ**» ســـورة الرعد، من الآية (١٧).

(٢) سورة إبراهيم، الآية رقم (٤).

مِنْهُ"(1) وهذا يعد من أعظم النعم الإلهية، ومن لطف الله على عباده وما يسره لهم حيث "إنه يرسل إليهم رسلا منهم بلغاتهم ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم"(2).

فاللسان الناطق بهذه اللغة هو من الوسائل التى أنعم الله بها على الإنسان يستطيع بها أن يناقش غيره، ويحاوره، فيشرح له قضاياه ويبين معتقداته مستدلاً عليها ومدافعاً عنها، وكل هذه المحاولات تجرى فى سياق البيان والتفهيم للطرف الآخر، ولايلزم عنها بالضرورة إجبار الخصم، وقد يلاقى هذا العرض فى الرؤى والأفكار قبولاً لدى الطرف الآخر، وقد يبقى الاختلاف فى وجهتى النظر قائماً.

وحيث إن الألفاظ المشتركة يمكن أن تقوم بمهمة معرفية يتحدد من خلالها الحوار العلمي وتظهر بين جنباتها طبيعة الجدل الهادف، فقد بات من الضروري تحديد المصطلح حتى يكون النزاع والاتفاق على منطقية واحدة أو فكرة محددة يدل عليه قول العلماء، لا مشاحة في الاصطلاح، وهذا مما يجعل تحديد مصطلحات عنوان الدراسة بمثابة تكليف علمي يجب الالتزام به، وهو ما سوف أسعى لتطبيقه طبقاً لما يلي:

---

(1) الصحابى الجليل، عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) (ت ٦٨هـ)، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص٢١١، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، ط دار الكتب العلمية – لبنان.

(2) الإمام الحافظ /إسماعيل ا بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ج٤ ص٤٧٧، ط الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

أولا: لفظ الإسلام:

وردت مادة الكلمة (س ل م) في القرآن الكريم (١٥٧) مائة وسبعاً وخمسين مرة(١)، كما وردت في لغة العرب، على جملة من المعاني أبرزُها، الخلو من الآفات، والخلوص من العلل، والدخول فيما شرع الله، والتفويض للملك العلام، بجانب الرضا بالأقدار والتمكين لسلطان الواحد القهار، والإنجاء من أذى النار، وقبض الجوارح حتى تكون في طاعة الملك القهار، ومن ثم تعددت هذه المعاني، ويمكن القول بأن تعددها يزيد في امتياز المعاني والمباني، وهو من المناسب للفظ الإسلام(٢).

ومن ثم يمكن تعريف الإسلام على الناحية اللغوية بأنه تسليم القلب وإخلاص العقل، وإخضاع الوجدان للواحد الديان مع الرضا بقضائه والرغبة في لقائه، والمحافظة على ما يأتي من عنده طبقاً لقاعدة التسليم والانقياد(٣).

ما يعّرف الإسلام في الاصطلاح بتعريفات متعددة طبقاً لتعدد العلماء وتنوع العلوم، والرغبة في تحقيق أكبر قدر من بلوغ السلامة، ويهمني التأكيد على تعريفه من الناحية النقلية طبقاً لما جاء في حديث جبريل من قوله (ﷺ):

---

(١) راجع للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، باب السين، ص٣٥٥٣٥٨، كذا حيث ذكر مواضعها من السور والآيات القرآنية، ط دار الكتب المصرية عام ١٣٦٤هـ.

(٢) راجع للعلامة/ مجد الدين الفيروزبادي (ت٨١٧هـ)، القاموس المحيط، باب الميم، فصل السين، ص٣١٨، وللعلامة/ أبو القاسم الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، ج٢ باب السين، ص٢٩٤، وللمعلم بطرس البستاني، قطر المحيط، ص٣١٧، والمعجم الوجيز باب السين ص٣١٩، ص٣٢٠، ط مجمع اللغة للعربية، القاهرة.

(٣) هذا ما أمكنني الوقوف عليه طبقاً للمعاني اللغوية، فمن وقف على غيره، فليحمد الله على ما وفق إليه، لأن العلم من أقسام الله جل علاه.

"الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إلى ذلك سبيلا"([1]).

ولا يمنع هذا من تقديم بعض التعاريف الاصطلاحية للإسلام مما أفرزه العقل المسلم الواعي بهذا الشأن، ومنها:

١- الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله للعالمين من آدم (عليه السلام) ثم جاء به خاتم الأنبياء وسيد المرسلين بما يحقق مصالح الخلق أجمعين، وقد دلت على ذلك ظواهر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية([2]) ويتَّضح هذا المعنى في وصف الله -تعالى- لنبيِّه محمداً (ﷺ) بقول: "**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**"([3]) وهو الوصف الذي كرَّره النبيُّ (ﷺ) عن نفسه، فعن أبي هريرة، قال: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين قال: "إني لم أبعث لعانا، وإنما بعثت رحمة"([4]) وجعل رسالته خاتمة لكل الرسالات، لأن ما بعث به (ﷺ) كان سبباً لإسعاد الناس وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم"([5]).

---

(١) الإمام البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، حديث جبريل ص٥٨، وهو معروف باسم حديث عمر باعتبار الراوي الأعلى، ويقال أيضاً عليه حديث ابن عمر باعتباره المتلقي عن أبيه.

(٢) الشيخ/ محمد بن علي النكلاوي، الإيمان والإسلام، ص٤٣، ط أولى، دار اليمن السعيد، ١٣٠٥هـ.

(٣) سورة الأنبياء، الآية رقم (١٠٧).

(٤) الإمام/ مسلم (المتوفى: ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج٤ ص٢٠٠٦، حديث رقم (٢٥٩٩) ط دار إحياء التراث العربي – بيروت، لبنان.

(٥) الإمام/ عبد الله بن عمر البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ج٤ ص٦٢، ط الأولى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، **عام** – ١٤١٨هـ.

هذا التعريف يعبر عن وجهة نظر اعتمدت على الجانب التاريخي مع مراعاة الغاية من بعثة الأنبياء والمرسلين، وهو يحقق مصلحة من الناحية التي جاء عليها.

٢- الإسلام هو الانقياد التام والتصديق بما جاء من عند الله في كتابه وسنة رسوله من الناحية العملية كما هو من الناحية النظرية، وبالتالي فهو جامع بين العقيدة والشريعة والتكاليف العملية"([1])، وهو تعريف ينطوي على جوانب مهمة مما يرتبط بالجوانب الاستهدافية التي قام عليها الدين نفسه، طبقاً لقاعدة مشروعة عمادها أن الشريعة ما جاءت إلا لمصالح العباد، وحيثما كانت المصلحة فثم شرع الله"([2]).

٣- الإسلام دين الله الخالد، يقرُ به من أخلص قلبه لله واتبع هديه وتمسك بما جاء من عنده، حتى يكون مرضياً عنه من قبل الله"([3]).

٤- الإسلام خيرٌ وبركةٌ ودين ورحمة ومودة جعله الله للعالمين حتى يحقق مصالحهم أجمعين، وأجزاؤه خمسة جاء بها الحديث الشريف من قوله (ﷺ)، بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إلى ذلك سبيلا"([4]).

---

(١) الشيخ/ منصور حسن البنهاوي، الإسلام دين الله، ص١٥، ط دار سعادة، ١٣٠٦هـ.

(٢) العلامة الشيخ/ إبراهيم الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ج٢ ص٧، تحقيق الشيخ/ عبدالله دراز، والاعتصام، ج١ ص٤٠، تحقيق: محمد عبدالله دراز، ط مكتبة الإسرة عام ٢٠٠٧م.

(٣) الدكتور/ صالح محمد رضوان، هذا دين الله، ص١٧، وراجع للدكتور/ عبدالحليم محمود، الإيمان والإسلام، ص٤٣، ط دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، وراجع للشيخ/ صابر محمد زياد، الإسلام والنهضة الاجتماعية، ص١٤.

(٤) الشيخ/ المحب الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة، ج١ ص٧، مطبعة النعساني بالقاهرة، عام ١٣٢٣هـ.

ولا يخفى أن هذا التعريف ركز على أثر الإيمان في حياة الإنسان ودوره في بناء داخله، وهي لغةٌ كبرى دلت عليها ظواهر الآيات القرآنية منها ما جاء على لسان ملكة سبأ حينما هتفت مشاعرها قائلة: "**قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**"(١).

ويمكن القول بأن الإسلام لفظٌ ينصرفُ إلى الدين الإلهي من الناحية الاصطلاحية، وينصرف إلى الوظيفة التي يقوم بها في حياة المسلم من الناحية القلبية، وباكتمال هذين العنصرين تتحقق السعادة في الدنيا، كما تتم النجاة في الآخرة،لأن الإسلام دين الله عَمّ كل شيء، فمن أُسلم أمره لله فقد سعد في دنياه ونجا في أخراه، لأنه حقق من نفسه مراد الله.

ثانيا: لفظ الجدل:

وردت مادة الكلمة في القرآن الكريم حوالي (٢٩) تسعاً وعشرين مرة(٢) كذلك وردت في لغة العرب على جملة من المعاني أبرزها، الفتل القوي، والصلابة في الشيء، وإحكام الأمر، مع حسنه، بجانب الاشتداد في الخصومة والرغبة في غلبة الآخر، كما ورد أصل الكلمة على ما يتعلق بمنهج المناقشة باعتبار أنه طريق من طرق المحاورة، وربما جاء على معنى الأمر القوي المتداخل بعضه في بعض"(٣).

---

(١) سورة النمل، الآية رقم (٤٤).

(٢) راجع للأستاذ/ محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، باب الجيم، ص١٦٥، ط دار الكتب المصرية عام ١٣٦٤هـ.

(٣) راجع للعلامة ابن منظور، لسان العرب، ج١١ ص ١٠٥، باب اللام، فصل الجيم، ط الثالثة، دار صادر – بيروت ١٤١٤هـ، عام هـ. وللعلامة الزمخشري، أساس=

وهو ما عبر عنه صاحب لسان العرب بقوله: "وأصل الجدل الفتل للحبـــل، وقد جدلت الدروع جدلا إذا أحكمت، هذا فى المحسوسات، أما فـــى المعنويـــات فالجدل: اللدد في الخصومة والقدرة عليها، ويقال: جادلت الرجل فجدلته جـــدلا أي غلبته، مقابلة الحجة بالحجة؛ **والمجادلة:** المنـــاظرة والمخاصـــمة، وطلـــب المغالبة به لإظهار الحق فإن ذلك محمود" والجامع بين المعنيين أن المتجـــادلين يريد كل طرف منهما أن يثنى الآخر عن رأيه معتمداً فى ذلك على قوة الـــدليل وصلابة الفكرة.

وقال الإمام الفراء: وأما الجدل: فهو تردد الكلام بين اثنين، إذا قـــصد كـــل واحد منهما إحكام قوله ليدفع به قول صاحبه، وهو مأخوذ من الإحكام، يقـــال: درع مجدولة، إذا كانت محكمة النسج، وحبل مجدول، إذا كان محكـــم الفتـــل. والأجدل، هو الصقر عندهم. والجدالة: وجه الأرض، إذا كان صلبًا، ولا يـــصح الجدل إلا بين اثنين. ويصح النظر من واحد"([1]) حتى قيل: "الجدل الحقيقى ليس منولوجيا أى حوار لمفكر وحيد مع نفسه، بل هو حوار بين الأنا والأنت"([2]).

=البلاغة، ج١ ص١٢٦، تحقيق: محمد باسل عيون الـــسود، ط الأولـــى، دار الكتـــب العلمية، بيروت – لبنان، عام، ١٤١٩هـــ – ١٩٩٨م، وللعلامة/ أبو عبد الله محمد بـــن أبي بكر الرازي (ت ٦٦٦هــ)، مختار الصحاح، باب الجيم ص٥٥، المحقق: يوســـف الشيخ محمد، ط الخامسة، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صـــيدا، عـــام، ١٤٢٠هــ/١٩٩٩م. وأيضاً للشيخ / أبو البقاء الكفوى (ت ١٠٩٤هــ) معجم" الكليـــات" المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، ص٣٥٣، مؤسسة الرسالة – بيروت.

(١) القاضى / أبو يعلى الفراء (ت ٤٥٨هــ)، العدة في أصول الفقه، تعليق: الدكتور/ أحمد بن علي بن سير المباركي، ج١ ص١٨٤، ط الثانية ١٤١٠هـــ – ١٩٩٠م بدون.

(٢) الدكتور/ مجاهدعبدالمنعم مجاهد، رحلة فى أعماق العقل الجدلى، ص١٢، ط الأولـــى، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة عام ١٩٧٩م.

ومن جملة هذه المعاني اللغوية يمكن القول بأن الجدل في اللغة وسيلة حوارية يسعى طرفاها إلى إحداث نقلة نوعية تعبر عن قدرات عقلية ربما تكون الغلبة هي المرادة، وقد يجئ الوصول للحق هو الغاية بحيث يكون الجدل واقعاً بين المحمود والمذموم"(١).

أما من الناحية الاصطلاحية:

فشأن كلمة الجدل شأن غيرها من الألفاظ المتداولة بين العلماء، بحيث يقع لها أمر الاستعمال الاصطلاحي من جهات مختلفة، ومن ثم سأقتطف بعض تلك التعريفات(٢)، وأنوه إلى أن تنوع الجدل يعطي فرصة لإبراز كل منهما مستقلاً عن الآخر، أقدمها من خلال ما يلي:

---

(١) **الجدل المحمود:** هو الذي يراد به إظهار الحق وبيان وجه المصلحة، **والجدل المذموم:** هو الذي يراد به الغلبة وإبراز القدرة على منازلة الآخر وهزيمته.

(٢) حاول أحد الباحثين أن يقوم بتحديد بعض المعانى لمفهوم الجدل فوجدها تدور حول **نقاط أربعة:** تعريفه، طبيعته، غايته، كونه علماً مستقلاً، فقال عن **تعريفه:** "هو فى الأصل فن الحوار والمناقشة، ودرة كلامية وبراعة حجاجية وطريقة فى المناقشة والاستدلال" **أما طبيعة الجدل:** فهو الخصومة والمنازعة فى البيان والكلام، والمفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، واشتداد الخصومة فى النقاش، **أما غاية الجدل:** فهو لإظهار المذاهب وتقريرها، **أما كونه علماً:** فهو المعرفة بالقواعد من الحدود والآداب فى الاستدلال التى يتوصل بها إلى حفظ رأى أو هدمه كان ذلك الرأى من الفقه أو غيره" الباحث/ يوسف عمر لعساكر، بحث بعنوان" الجدل فى القرآن خصائصه ودلالاته" رسالة ماجستير، ص٢٨، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر (بن يوسف بن خده) للعام الجامعى: ٢٠٠٤-٢٠٠٥م. وقال الإمام/ السيوطى: "عِلْمُ الجدلِ: صناعَة نظرية يُسْتَفَاد مِنْهَا كَيْفيَّة المناظرة وشرائطها صِيَانة عَن الْخبط فِي الْبَحْث وإلزاما للخصم وإفحامه، وَقيل: قانون يُفِيد عرفان الْقدر الْكَافِي من الهيئات، وأقسام الاعتراضات، والجوابات الموجهات مِنْهَا وَغير الموجهات" الإمام/ عبد=

الأول ـــــ الجدل الممدوح ويعرف بأنه: طريقة حوارية يراد بها الوصول لغاية صحيحة قامت على مقدمات سليمة تتحقق أهدافاً مشروعة، لنصرة الحق ودفـــع الباطل"([1]).

كما يعرف بأنه وسيلة يمارس العقل دوره فيها بغية توضيح الحقائق والاتجاه إلى الأهداف المشروعة مع مراعاة الأحكام الواجبة وعـــدم تخطـــي الحـــواجز القائمة"([2]) والجدل باعتباره صورة من صور المحاورة، لايقتصر على الجـــدل كأحد المباحث المنطقية، حيث قيل فى تعريفـــه: "أنـــه طَريقَـــة فِـــي المناقـــشة وَالِاسْتِدْلَال صورها الفلاسفة بصور مُخْتَلفَة وَهُوَ عِنْد مناطقة الْمُـــسلمين قِيَـــاس مؤلف من مشهورات أَو مسلمات"([3]) بل يتعداه إلى غيره كالجانب الدينى، فقيـــل الجدل علم يتعرف به كيفية تقرير الحجج الشرعية من الجدل الـــذي هـــو أحـــد

=الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـــ).معجم مقاليـــد العلـــوم فـــي الحدود والرسوم–المحقق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، ص٧٦، ط أولى، مكتبة الآداب – القاهرة / مصر، ١٤٢٤هـــ – ٢٠٠٤م.

(١) د/ محمد سيد طنطاوى، أدب الحوار فى الإسلام، ص١٠٥، ط دار نهضة مصر عـــام ١٩٩٧م، والموســـوعة القرآنيـــة المتخصـــصة، مجموعـــة مـــن الأســـاتذة والعلمـــاء المتخصصين، ص١٨٣، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، عام ١٤٢٣هـــــ – ٢٠٠٢م.

(٢) الشيخ/ محمود نور الدين فتح الله البيلي، الجـــدل طريقـــة الوصـــول للحـــق، ص١٣، ط أولى، دار عبدالنعيم عام ١٣٠٧ه، وراجع للشيخ/ محمد منصور الصقلي، المعونـــة في الجدل ص١٤، ط الرباط عام ١٩٦٧م.

(٣) كتاب الإمام/ الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـــ)، التعريفات، تحقيق: ضـــبطه وصـــححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط الأولى، ص٧٥، دار الكتب العلميـــة، بيـــروت، لبنان، عام ١٤٠٣هـــ –١٩٨٣م.

أجزاء المنطق لكنه خصص بالمباحث الدينية"(1) قال صاحب المصباح المنير: "ثم استعمل على لسان حملة الشرع فى مقابلة الأدلة لظهور أرجحها وهو محمود إن كان للوقوف على الحق وإلا فمذموم"(2).

والجدل الممدوح يمكن وصفه بأنه سلمي، ويمكن وصفه بأنه أحسن عندما يقارن بغيره من الجدل المذموم، وكان السوفسطائية(3) يمارسون المذموم، بينما أنبياء الله تعالى يعلمون الناس الممدوح، لقوله تعالى: "**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**"(4).

---

(1) الإمام/ محمد بن علي التهانوي (ت ١١٥٨هـ)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقله من الفارسية إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، ج١ص٥٥٣، ط الأولى، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت– ١٩٩٦م.

(2) الشيخ/ أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت نحو ٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج١ ص٩٣ باب الجيم مادة (جدل) ط المكتبة العلمية – بيروت.

(3) السوفسطائية: (السفسطة) قِيَاس مركب من الوهميات وَالْغَرَض مِنْهُ إفحام الْخصم وإسكاته (من اليونانية) (السفسطي) الْمَنْسُوب إِلَى السفسطة، (السوفسطائية) فرقة يُنكرُونَ الحسيات والبديهيات وَغَيرهَا الْوَاحِد سوفسطائي، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص٤٣٣.

والسوفسطائيون بصنيعهم هذا، قد أساءوا إلى الحقيقة فجعلوها نسبية، والتى بضياعها قد تعرض كل نظام للسقوط، وتختل موازين الحقيقة وتفقد الأشياء موازينها ومقاييسها، لأن الموازين والمقاييس تكون تابعاً للميول الشخصية" الدكتور/ يوسف محمود، المنطق الصورى، ص٢٥، ط أولى، دار الحكمة، الدوحة عام ١٤١٤هـ–١٩٩٤م.

(4) سورة النحل، الآية رقم (١٢٥).

أمّا الجدل المذموم الذي لا يرجى من ورائه خير، وينهي إلى إنكار ما جـــاء من عند الله، فقد عرف بتعريفات كثيرة منها:

أنه عملية ديناميكية يريد صاحبها إبراز نفسه على الآخرين وبالتالي فجدلـــه من جانب واحد غالباً، لأنه يعتبر نفسه أعلى مـــن أن ينازلـــه غيـــره، وتلـــك مأساته"([1]).

كما يعرف بأنه الرغبة في التعبير عن الجانب الأنوي من الـــذات المتدنيـــة بغية القفز فوق سطح الأحداث، وبالتالي يكون صاحبها محتاجاً إلى نـــوع مـــن العلاج"([2]).

ومن الملاحظ أن الجدل المذموم قد أشارت إليه آيات قرآنية عديدة، تـــصف أصحابه وتحذر المؤمنين منهم، لتضليلهم الناس عن العقيدة الصحيحة، من ذلك قوله تعالى: "**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْـــمٍ وَلا هُـــدًى وَلا كِتَـــابٍ مُنِيرٍ**"([3]) يقول الإمام/ القرطبى: "ومن الناس من يخاصم في توحيد الله وإفـــراده بالألوهة بغير علم منه بما يخاصم به، وَلا هُدًى، فيقول: وبغير بيان معـــه لمـــا يقول ولا برهان، وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ، يقول: وبغير كتاب من الله أتـــاه لـــصحة مـــا يقول، يقول ينير عن حجته. وإنما يقول ما يقول من الجهل ظنا منه وحسبانا"([4])

---

(١) راجع لإدوارد هيفر، الجدل ومشكلات الصحة النفسية ص١٣، ترجمة ناهـــد صـــابر، ط أولى ١٩٩٣م، دار الجيل، بيروت.

(٢) راجع للدكتور/ سيد مرسي عبدالحميد النفـــراوي، الـــنفس غيـــر الـــسوية وأخطارهـــا المجتمعية، ص٨١، ٨٢، ط مكتبة سعيد رأفت بالقاهرة، عام ١٩٨١م.

(٣) سورة الحج، الآية رقم (٨).

(٤) الإمام/ محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هــ)، جامع البيان فى تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، ج١٨ ص٥٧٣، ط الأولى، مؤسسة الرســـالة، عـــام ١٤٢٠هـــــ - ٢٠٠٠م.

فهذا الجدال نابع من هوى النفس، لذا تراه لايهدى إلى الحق، لأنه لايستند إلى عقل صحيح ولا إلى نقل صريح، وهذه آفته.

ومنه قوله تعالى: "**وَقَالُواْ ءأَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاَ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**"(١) فقد أراد المشركون التلبيس على النبي (ﷺ) ومجادلته بالباطل، إلا أن القرآن الكريم كشف زيف باطلهم، مقرراً أن العبادة لاتكون إلا لله تعالى وحده، يقول الإمام/ الفخر الرازى: "روي أنه لما نزل قوله تعالى: "**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم**"(٢) قال أحد المشركين هذا خاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم؟ فقال (ﷺ): "بل لجميع الأمم "فقال خصمتك ورب الكعبة، ألست تزعم أن عيسى ابن مريم نبي وتثني عليه خيرا وعلى أمه، وقد علمت أن النصارى يعبدونهما واليهود يعبدون عزيرا والملائكة يعبدون، فإذا كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم، فسكت النبي (ﷺ) وفرح القوم وضحكوا وضجوا بسبب ما رأوا من إسكات رسول الله فإنه قد جرت العادة بأن أحد الخصمين إذا انقطع أظهر الخصم الثاني الفرح والضجيج، فأنزل الله تعالى: "**إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون**"(٣).

وقد وصف الحق (سبحانه وتعالى) سيدنا عيسى (عليه السلام) أنه عبد مخلوق منعم عليه بالنبوة، عبادته كفر، ودعاؤه شرك، إذ لم يأذن الله بعبادة غيره إِذا قَوْمُكَ مِنْهُ أي من مثله المضروب ووصفه المبين يَصِدُّونَ أي يعرضون ولا يعون وَقَالُوا أَآلِهَتُنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ يعنون بآلهتهم الملائكة الذين عبدوهم، زعما منهم أنهم بنات

---

(١) سورة الزخرف، الآية رقم (٥٨).

(٢) سورة الأنبياء، الآية رقم (٩٨).

(٣) سورة الأنبياء، الآية رقم (١٠١).

الله تعالى، كما ذكر عنهم ذلك في أول السورة([1]) وأنهم خير من عيسى وأفضل، لأنهم من الملأ الأعلى والنوع الأسمى، فإذا جازت عبادة المفضول وهو عيسى، فبالأولى عبادة الأفضل وهم الملائكة، كأنهم يقررون على شركهم أصولا صحيحة، ويبنون على تمسكهم أقيسة صريحة، وغفلوا، لجهلهم، عن بطلان المقيس والمقيس عليه، وأن البرهان الصادع قام على بطلان عبادة غيره تعالى، وعلى استحالة التوالد في ذاته العلية. وإذا اتضح الهدى فما وراءه إلا الضلال، والمشاغبة بالجدال، كما قال تعالى: "**ما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا**" أي ما ضربوا لك هذا القول إلا لأجل الجدل والخصومة، لا عن اعتقاد، لظهور بطلانه بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ أي شديد والخصومة بالباطل تمويها وتلبيسا"([2]).

والناظر هنا يجد أن هذه المجادلة أظهرت فساد ما عليه المشركون من الاعتقاد، مقررة لهم العقيدة الصحيحة متضمنة فيما يأتى:

١. إثبات وحدانية الذات الإلهية، وإفراد الله تعالى وحده بالعبادة دون سائر المخلوقات.

---

(١) وهى سورة الزخرف، و أنه تعالى ذكر أنواعا كثيرة من كفرياتهم في هذه السورة وأجاب عنها بالوجوه الكثيرة فأولها: قوله تعالى: "**وجعلوا له من عباده جزءا**" (الزخرف: ١٥) وثانيها: قوله تعالى: "**وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا**" (الزخرف: ١٩) وثالثها: قوله وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم (الزخرف: ٢٠) ورابعها: قوله: "**وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم**" (الزخرف: ٣١) وخامسها: هذه الآية التي نحن الآن في تفسيرها، الإمام/ فخرالدين الرازى (ت٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، ج٢٧ ص٦٣٩، ط دار إحياء التراث العربى.

(٢) الشيخ/ محمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)، محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل عيون السود، ج٨ ص٣٩٥، ط الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، عام ١٤١٨هـ.

٢. إثبات نبوة سيدنا عيسى (عليه السلام)، وأنه عبد لله تعالى من المقربين.

٣. إثبات أن الملائكة عباد مكرمون، ونفى زعم المشركين أنهم إناث أو بنات الله.

وكالحال مع نمروذ إبراهيم، ولكنه بهت، قال تعالى: «**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**"(١) ومن يتأمل الآية الكريمة التى هى دليل المجادلة يجدها قد اشتملت على ثلاثة من مسائل العقيدة: الأولى منها: في بيان إثبات العلم بالصانع، والثانية والثالثة: في إثبات الحشر والنشر والبعث.

المسألة الأولى: مناظرة إبراهيم (عليه السلام) مع ملك زمانه وفيها "الاستدلال على وحدانية الله تعالى بأفعاله التى لايشاركه فيها أحد من خلقه، والإحياء والإماتة كذلك،لأن الخلق عاجزون عنهما فلا يقدرون على إحداثها فلابد من قادر آخر

(١) سورة البقرة، الآية رقم (٢٥٨) هذه الآية وأضرابها كقوله تعالى: "**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**"(الأنبياء:٢٢) وقوله تعالى: "**أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ**" (يس:٨١) وقوله تعالى:"**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ مَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ**" (الروم:٤٠) تعد من الأدلة الشرعية على طريقة البرهان العقلى الذى يستدل به على الموالف (الموافق) والمخالف، لأنه أمر معلوم عند من له عقل، فلا يقتصر به على الموافق فى النحلة، وكأنه تعليم للأمة كيف يستدلون على المخالفين" الإمام/ الشاطبى (ت٧٩٠هـ)، الموافقات فى أصول الشريعة، المجلد٣ ص٥٩، ص٦٠، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط الأولى، دار ابن عفان، عام ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

يتولى إحداثها وهو الله تعالى، وهكذا بهت الذى كفر لأن الإله الحق لابد أن يكون متصرفاً فى ملكه كما يشاء، والكون بما فيه سائر وفق إرادته.

وتعليل ذلك أن التأثير لايكون بالإيجاب من ذات الشئ، لأنه يلزم من دوامه دوام الأثر، فكان يجب أن لا يتبدل الإحياء بالإماتة، وأن لا تتبدل الإماتة بالإحياء،أمر آخر هو مانراه فى الحيوان من أعضاء مختلفة فى الشكل والصفة والطبيعة والخاصية، والتأثير الذاتى لايكون كذلك، فعلم بذلك أنه لابد فى الإحياء والإماتة من وجود آخر يؤثر على سبيل القدرة والاختيار في إحياء هذه الحيوانات وفي إماتتها، وذلك هو الله (ﷻ)"(1).

والحال أن سيدنا إبراهيم أراد أن يؤكد للنمروذ أن "الدليل على وجود الله تعالى هو حدوث هذه الأشياء المشاهدة بعد عدمها، وعدمها بعد وجودها، وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة، لأنها لم تحدث بنفسها فلا بد لها من موجد أوجدها وهو الرب الذي أدعو إلى عبادته وحده لا شريك له"(2).

وقد أبانت الآية عن كمال حال إبراهيم (ﷺ) فى إظهار معالم الدين الحق، وفيها دلالة على أن الأنبياء (عليهم السلام) بعثوا لتبليغ دين الله تعالى للناس، والظاهر أنه متى إدعى الرسالة، فإن المنكر يطالبه بإثبات أن للعالم إلهاً.

---

(1) الإمام/الفخر الرازى (ت ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، ج٧ ص٢٢، ط الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، عام ١٤٢٠هـ، وراجع للإمام/ سيف الدين الآمدى (ت ٦٣١هـ)، غاية المرام في علم الكلام، المحقق: حسن محمود عبد اللطيف، ص٩، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة، وراجع للدكتور/ محمد أحمد خليل ملكاوى، عقيدة التوحيد فى القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة محمد بن سعود بالرياض، ص١٩٦.

(2) الإمام/ ابن كثير (ت ٤٧٤ هـ)، تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة، ج١ ص٦٨٦، ط الثانية، دار طيبةللنشروالتوزيع، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

والآية فيها دليل على إثبات نبوة سيدنا محمد (ﷺ)، حيث أخبر الله (ﷻ) نبيه (ﷺ) بهذه القصص ليكون عبرة وتعجباً مما كان، وليكون حجة على أهل الكتاب ومشركى العرب، لأنه نبأ لايتعلمه إلا من قرأ الكتب ودرسها،أو من يوحى إليه، فلما لم يكن محمداً (عليه السلام) عندهم ممن يقرأ الكتاب فينقل منها(١) وجب أن يكون ذلك بوحي، فيجب قبول قوله، والإيمان به ضرورة لمن وفق"(٢).

أن المجادل لابد أن يكون دليله واضحاً لمن يحاوره، خاصة إذا كان مدافعاً عن دين الله تعالى وهذا ما نتعلمه من سياق الآية الكريمة، فالنمروذ حينما قال أنا أحيى وأميت، أى أعفو عن القتل وأقتل، وكان الاعتراض عتيداً، ولكن إبراهيم لما سمع جوابه الأحمق لم يحاجه فيه، ولكن انتقل إلى مالا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته أول شئ، وذلك فى قوله "**فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب**" وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة إلى حجة"(٣) فإن قيل: لِمَ لَمْ يثبت إبراهيم على الحجة الأولى؟ وانتقل إلى

(١) فما كان النبى (ﷺ) يقرأ أو يكتب، يشهد لذلك قول الله تعالى: "**وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**" سورة العنكبوت، الآية رقم (٤٨).

(٢) الإمام/ أبو محمد مكي بن أبي طالب القرطبي المالكي (ت ٤٣٧هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، ج ١ص٨٥٧، ص٨٥٨، ط الأولى، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة عام، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

(٣) الإمام/ الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج١ ص٣٠٦، ط الثالثة، دار الكتاب العربي – بيروت عام– ١٤٠٧هـ.

حجة أخرى والانتقال في المناظرة من حجة إلى حجة غير محمود. قيل له: الانتقال على ضربين: انتقال محمود إذا كان بعد الإلزام، وانتقال مذموم إذا كان قبل الإلزام. وإبراهيم (عليه السلام) انتقل بعد الإلزام، لأنه قد تبين له فساد قوله، حيث قال له: إنك قد أحييت الحي ولم تحيي الميت. وجواب آخر: إن قصد إبراهيم (عليه السلام) لم يكن للمناظرة، وإنما كان قصده إظهار الحجة، فترك مناظرته في الإحياء والإماتة على ترك الإطالة، وأخذ بالاحتجاج بالحجة المسكتة، ولأن الكافر هو الذي ترك حدّ النظر، حيث لم يسأل عما قال له إبراهيم، ولكنه اشتغل بالجواب عن ذات نفسه، حيث قال: أنا أحيي وأميت"([1]).

أما المسألتان الثانية والثالثة الدالتان على البعث والنشور، فقد تضمنهما قوله "أنا أحيى وأميت "فلما زعم النمروذ أنه يقدر أن يفعل كل جنس يفعله الله من الإحياء والإماتة فنقضه إبراهيم بذلك، وأقام عليه الحجة، مبيناً له أن فعل الإحياء والإماتة إنما يقع فى خقيقته بقدرة الله رب العالمين وخده لاشريك له، وأنه سبحانه هو الذى يحيى ويميت.

كما ناظر (عليه السلام) الصابئة في قوله تعالى: "**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ**"([2])، والمعنى"وكذلك أريناه مرة بعد مرة ملكوت السموات والأرض. أي خلقهما بما فيهما من بديع النظام وغريب الصنع مما يدل على وحدانيتنا وعظيم قدرتنا وإحاطة علمنا بكل شىء، وليعرف سنننا فى خلقنا، وحكمنا فى تدبير ملكنا، وآياتنا الدالة على ربوبيتنا، ليقيم بها

---

(١) الإمام/ أبوالليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندى (ت ٣٧٥) تحقيق: الشيخ/ على محمد عوض وآخرين، ج١ ص٢٢٥، ط أولى، دار الكتب العلمية، بيروت، عام ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

(٢) سورة الأنعام، الآية رقم (٧٥).

الحجة على المشركين الضالين، وليكون فى خاصة نفسه من زمرة الراسخين فى الإيقان البالغين عين اليقين"(١) وهذه الآيات دالة على توحيد الله (ﷻ)، وأنه المستحق للعبادة دون سواه.

قال الإمام/ ابن كثير: "والحق أن إبراهيم (ﷺ) كان في هذا المقام مناظراً لقومه مبينا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام"(٢).

فكان من مقاصد هذا الجدال تصحيح العقيدة الدينية، والدفاع عن مقام الألوهية، لذا لفت أنظارهم إلى معنى الألوهية الحقة وليست الزائفة، فقد بين لهم سيدنا إبراهيم (عليه السلام) بطلان ماكانواعليه من عبادة الهياكل والأصنام لأنه خطل وضلال، فهى لاترقى إلى مقام الألوهية، لأنها مسخرة مقدرة بسير معين لاتملك لنفسها تصرفاً، بل هى جرم خلقها الله منيرة، فلما انتفت الإلهية عن هذه الأجرام لعجزها تبرأ من عبادتهن وموالاتهن مؤكداً لهم هذه الحقيقة بقوله: "**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**"(٣) وقرر لهم كما حكاه القرآن، أنه يعبد خالق هذه الأشياء ومخترعها ومسخرها ومقدرها ومدبرها الذى بيده ملكوت كل شئ وقد تبين له وجه الدلالة في نظره إلى خلقهما على وحدانية الله (ﷻ)، في ملكه وخلقه، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه"(٤) وهذا الدليل سماه المتكلمون بدليل الحدوث أخذا من معنى الآيات

(١) الإمام/ أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، تفسير المراغي، ج٧ ص ١٦٩، ط الأولى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، عام ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م.

(٢) الإمام/ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣ ص٢٩٢، المحقق: سامي بن محمد سلامة، ط الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع، عام١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

(٣) سورة الأنعام، الآية رقم (٧٩).

(٤) راجع للإمام/ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣ ص٢٩٠.

القرآنية واستدلوا به على إثبات الصانع، يقول الإمام/ الباقلانى: "ولابد لهذا العالم المحدث المصور من محدث مصور، والدليل على ذلك أن الكتابة لابد لها من كاتب، ولابد للصورة من مصور، وللبناء من بان، وأنا لانشك فى جهل من أخبرنا بكتابة حصلت لا من كاتب، وصياغة لا من صائغ، وحياكة لا من ناسج، فوجب أن تكون صور العالم وحركة الفلك متعلقة بصانع صنعها"(1).

وسيدنا إبراهيم (عليه السلام) حاور مخالفه النمروذ، والنمروز يجادل بالباطل، وجادل الصابئة وأبطل ألوهيتهم المزعومة، وكانت الغلبة فى جانب سيدنا إبراهيم لأنه كان يبغى الوصول إلى الحق، لذا أمرنا نحن باتباع ملة إبراهيم حنيفاً، يقول الإمام/ ابن حزم: "وقد أمرنا تعالى في نص القرآن باتباع ملة إبراهيم (عليه السلام) وأخبرنا تعالى أن من ملة إبراهيم المحاجة والمناظرة فمرة للملك ومرة لقومه والاستدلال كما أخبرنا تعالى عنه ففرض علينا اتباع المناظرة لنصرف أهل الباطل إلى الحق وأن نطلب الصواب بالاستدلال فيما اختلف فيه المختلفون قال الله (عز وجل): "**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ**"(2)، فنحن المتبعون لإبراهيم (عليه السلام) في المحاجة والمناظرة فنحن أولى الناس به وسائر الناس مأمورون بذلك"(3).

---

(1) الإمام/ أبوبكر محمد بن الطيب الباقلانى (ت٤٠٣هـ)، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، ص٢٣، ط مؤسسة الكتب الثقافية، عام ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م. ويعد دليل الحدوث من الأدلة العقدية التى إهتم بها المتكلمون لإثبات وجود الله تعالى، وحفلت بها كتبهم فى القديم والحديث.

(2) سورة آل عمران، الآية رقم (٦٨).

(3) الإمام/ ابن حزم الأندلسي (ت٤٥٦ هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، ج١ ص٢١، ط دار الآفاق الجديدة، بيروت.

وكذلك جدل فرعون موسى حيث قال ما قصه القرآن الكريم، قال تعالى: "**قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى، قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**"(1)، وهذا الجواب يظهر لنا تمسك سيدنا موسى (عليه السلام) بدلائل التوحيد الدالة على ذات الله وصفاته، والمتضمنة لمعنى التنزيه للخالق سبحانه، نلحظ ذلك في سؤال فرعون عن ماهية الإله، فأجابه سيدنا موسى بذكر آثار صنع الله في خلقه، فهو الذى أعطى كل شئ صورته وهيئته ممايتحقق به معاشهم وقوامهم، ثم هداهم لما يتعيشون، ويقومون به، وهداهم لما يصلح لهم وما لا يصلح لهم، والآية فيها دلالة على أن الله تعالى لايعرف من جهة الماهية والكيفية، إذ لا ماهية ولا كيفية، إذ هما أوصاف الخلق، فالله سبحانه يتعالى عن أن يوصف بشيء من صفات الخلق"(2).

وطعنه على نبي الله موسى في أصله ونسبه، حين لمزه بأنه لا أسرة له ولا أهل يدل عليه قوله تعالى: "**قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ، وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ**"(3).

وأنوه إلى أن الإسلام يقوم منهجه على الجدل السلمي وهو المحاورة المتكافئة القائمة على احترام الآخر، وعرض القضايا عليه بما يتناسب معه ويحقق مصالحه المشروعة متى قبلها، وبالتالي فالمعيار في الجدل السلمي يقوم على **أمور أربعة:**

---

(1) سورة طه، الآيتان (٤٩، ٥٠).

(2) الإمام/ أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، المحقق: د. مجدي باسلوم، ج٧ ص ٢٨٥، ط الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، عام، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

(3) سورة الشعراء: الآيتان (١٨)، (١٩).

الأمر الأول: اللغة المتداولة، يدل عليه قوله تعالى: "**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُون**"(١)، وقوله تعالى: "**وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ**"(٢).

وكذلك الحال في أصحاب الأيكة أخوهم شعيب: "**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ**"(٣).

وذلك مما يدل على أن النبي حينما يكون أخياً في قومه فإن اللغة المشتركة بينهما تكون ذات طبيعة محددة المعاني، مما يعبر عن احترام الإسلام لخصوصية هؤلاء الأقوام"(٤).

الأمر الثاني: تحريك العواطف القلبية، ذلك أن الجدل في الإسلام إنما يناجي في الإنسان قلبه، باعتبار أنه الذي متى صلح، صلح الأمر كله، وإذا فسد فسد الأمر كله، لقوله (ﷺ): "**ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**"(٥) فالإيمان فى حقيقته تصديق ومحله القلب.

---

(١) سورة الأعراف: الآية رقم (٦٥).

(٢) سورة الأعراف: جزء من الآية رقم (٨٥).

(٣) سورة الأعراف: جزء من الآية رقم (٨٥).

(٤) والآيات في هذا الشأن كثيرة جامعها قول الله تعالى: "**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**". سورة إبراهيم، الآية رقم (٤).

(٥) الإمام/ محمد بن إسماعيل البخارى، صحيح البخارى، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ج١ ص٢٠، حديث رقم (٥٢)، ط الأولى، دار طوق النجاة، عام ١٤٢٢هـ.

وكلما كان الأمر مع النبي على تلك القاعدة استطاع أن يكتسب الأصـــدقاء، ويقل في مواجهته الأعداء، ويحقق في الناس شرع الله بما يرضيه جل عـــلاه، ولذا يقول الله تعالى: **وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَم بِالْمُهْتَدِينَ**"([1]) وقوله تعالى: "**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَـــا وَأُنْـــزِلَ إِلَـــيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**"([2])

الأمر الثالـث: تحريك الرغبات وتنظيمها، فالإسلام في جدله السلمي لا يقتل رغبة الإنسان التي فطره الله عليها، ولكنه يوقظهـــا وينظمهـــا بحيـــث تـــؤدي واجباتها على وجوه صحيحة يدل عليه ذلك الحوار الهادف الوارد فـــي القـــرآن الكريم بين النبي (ﷺ) وأزواجه أمهات المؤمنين في قوله تعالى: "**يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء**"([3]).

الأمر الرابع: الموازنة بين ما يبقى وما يفنـــى، فالإســـلام ديـــن الله الخالـــد والإنسان له حياتان([4])، إحداهما دنيوية، وهي حتمـــاً زائلـــة، والأخـــرى هـــي

(١) سورة النحل: جزء من الآية رقم (١٢٥).

(٢) سورة العنكبوت، الآية رقم (٤٦).

(٣) سورة الأحزاب: جزء من الآية (٣٢).

(٤) هذا على القول الأرجح، بخلاف من قال بالثلاث، دليله قوله تعالى: "**قَالُوا رَبَّنَـــا أَمَتَّنَـــا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ**" (غافر:١١) جزء الآية، فقد ورد للعلماء فيها ثلاثـــة تـــأويلات: أحدها: أنه خلقهم أمواتاً في أصلاب آبائهم ، ثم أحياهم بإخراجهم ثم أماتهم عند انقضاء آجالهم ، ثم أحياهم للبعث ، فهما ميتتان إحداهما في أصلاب الرجال ، الثانية في الدنيا ، وحياتان: إحداهما في الدنيا والثانية في الآخرة ، قاله ابن مسعود وقتادة. الثـــاني: أن الله أحياهم حين أخذ عليهم الميثاق في ظهر آدم قوله:"وإذ أخذ رَبُـــكَ مِـــن ابنـــي آدَمَ مِـــن ظُهُورِهِمْ ذريتَهُمْ"(الأعراف: ١٧١) الآية. ثم إن اللَّه أماتهم بعد أخذ الميثاق عليهم ، ثم=

المتعلقة بما بعد البعث، ومردها إلى الحياة الآخرة وقد جاءت ظواهر نصوص على أنها باقية، وبالتالي فالجدل السلمي يعقد تلك الموازنة ثم يعطي للفرد الواعي الرغبة في اختيار ما يشاء، ولذا يتم تصنيف الناس على هاتين الصورتين كما قال تعالى: "**وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**"(١).

تبقى مسألة مهمة وهي أن الجدل السلمي مع غير المسلمين قام في الأصل على مراعاة هذه الجوانب الأربعة، ثم أعطى حرية الاختيار حتى فيما يتعلق بمسائل العقيدة، يدل عليه قوله تعالى: «**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**"(٢).

يقول الإمام/ ابن كثير: "لا تكرهوا أحدا على الدخول في دين الإسلام فإنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه،

=أحياهم حين أخرجهم ، ثم أماتهم عند انقضاء آجالهم ، ثم أحياهم للبعث فتكون حياتان وموتتان في الدنيا وحياة في الآخرة ، قاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، الثالث: أن الله أحياهم حين خلقهم في الدنيا ، ثم أماتهم فيها عند انقضاء آجالهم ، ثم أحياهم في قبورهم للمساءلة ، ثم أماتهم إلى وقت البعث. ثم أحياهم للبعث" الإمام/ أبو الحسن علي بن محمد الماوردى (ت ٤٥٠هـ)، تفسير الماوردي = النكت والعيون، ج٥ ص١٤٦، المحقق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان، وراجع للإمام/ سعدالين التفتازانى (ت ٧٩٣هـ)، شرح المقاصد، تحقيق:الدكتور/ عبدالرحمن عميرة، ج٥ ص١١٣ــ ص١١٥، ط ثانية، عالم الكتب، بيروت لبنان، عام ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

(١) سورة البقرة، الآية رقم (٢٠١).

(٢) سورة البقرة، الآية رقم (٢٥٦).

بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومـــن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرهـــا مقسورا"(١) لذا "لم يجر اللّه أمر الإيمان على الإجبار والقـــسر، ولكـــن علـــى التمكين والاختيار"(٢).

ويعلل الإمام / البيضاوى عدم إكراه الناس على الدخول فى الدين بقولـــه: "إذ الإكراه في الحقيقة إلزام الغير فعلاً لا يرى فيه خيراً يحمله عليه، ولكن قَــدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ تميز الإيمان من الكفر بالآيات الواضحة، ودلـــت الـــدلائل على أن الإيمان رشد يوصل إلى السعادة الأبدية والكفر غي يؤدي إلى الـــشقاوة السرمدية، والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه إلـــى الإيمـــان طلبـــاً للفـــوز بالسعادة والنجاة، ولم يحتج إلى الإكراه والإلجاء"(٣) وقوله تعالى: "**وَقُلِ الْحَـــقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَـــشْوِي الْوُجُـــوهَ بِـــئْسَ الـــشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا**"(٤).

وهذه حقائق أثبتها الواقع التطبيقى لممارسات المسلمين فى قيـــامهم بمهمـــة تقرير العقيدة الإيمانية وتثبيتها فى النفوس ودفع الشبه عنها حتـــى صـــار مـــن

(١) الإمام الحافظ / ابن كثير(ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة، ج١ص٦٨٢، ط الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع، عام ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

(٢) الإمام/ الزمخشرى (ت ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيـــل، ج١ص٣٠٣، ط الثالثة، دار الكتاب العربي – بيروت، عام ١٤٠٧هـ.

(٣) الإمام/ عبدالله بن عمر البيضاوى (ت ٦٨٥هـ)، أنـــوار التنزيـــل وأســـرار التأويـــل، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ج١ ص، ١٥٤، ط الأولى، دار إحياء التـــراث العربي، بيروت، عام ١٤١٨هـ.

(٤) سورة الكهف: الآية (٢٩).

المعلوم لدى المنصفين للإسلام "أن انتشار الإسلام كان بالحجة والبرهان والبيان، لا بالقهر والإكراه والإجبار، فلم يثبت في تاريخ الإسلام أن أحدا من الناس أكره أحدا على الدخول فى دين الإسلام، وإنما كان الناس يدخلون في دين الله أفواجا بحرية وقناعة، وطواعية واختيار"([1]).

ثم نهى واستثنى، أثناء الجدل نفسه، فى قوله تعالى: "**إلا الذين ظلموا منهم** "فبين أن المجادل من أهل الكتاب غير الظالم يجب عدم تضييق الأمر معه، أما الظالم فقد صار الجدل معه بما يتفق وطريقته، وهو ما يعرف بتكافؤ المتجادلين"([2]) بحيث يكون بينهما إتفاق على دلالات ما يستعملان من مفاهيم، مما يحقق جدلاً موضوعياً هادفاً ومفيداً.

إذن الجدل مع غير المسلمين لا يخرج عن هاتين الصورتين بحيث تكون المسألة قائمة على التكافؤ، وذلك مما يفيد في باب الجدل وربما قطع الخصومة، وفي ذلك حفظ لقواعد الدين، واحترام لحدود العقل، وتقدير للقيم، واستنهاض للهمم، وذلك منهج الإسلام الذي جاءت به شريعته.

---

(١) الدكتور/ وهبة بن مصطفى الزحيلى، التفسير الوسيط، ط الأولى، ج١ص١٤٨، دار الفكر – دمشق، عام ١٤٢٢هـ.

(٢) راجع في هذا الشأن للشيخ/ عبد الرشيد الجونغوري الهندى (ت١٠٨٣هـ) شرح الرشيدية على الرسالة الشريفية للسيد الشريف/ محمد بن على الجرجانى (ت ٨٠٦هـ)، ص١٤، تحقيق الدكتور/ على مصطفى الغرابى، ط الأولى، مكتبة الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة عام ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م، وراجع رسالة في أدب البحث والمناظرة للشيخ/ عبد الحكيم حسن سلطان، ص٣١.

رابعا: غير المسلمين:

كل من آمن بالله تعالى رباً وبالإسلام ديناً، وبسيدنا محمداً نبياً وخاتماً ورسولاً، وصدق بما جاء من عند الله، وسعى إلى تطبيقه بما شرع الله في حدود طاقته فهو المسلم.

أمّا من تخلى عن هذه أو تلك فله شأن آخر، لكن تبقى القاعدة العامة عاملة إلى يوم القيامة في قوله تعالى: «**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**"(١)، وقوله تعالى: "**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ**"(٢)، وقوله تعالى: "**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**"(٣).

ومن ثم فإن مايتعلق بالجانب التوظيفى للمفردات الحاملة عنوان الدراسة يكون قد أدى المتعلق به على ناحية صحيحة مناهجياً، وموضوع هذا البحث يدور حول الجدل السلمي مع غير المسلم أياً كانت وطنيته أو قوميته، أو عقليته، لأن القاعدة العامة وضعت الإطار الشامل للمسلم، وما وراء هذا الإطار فهو لغير المسلم، ربما يكون ينسب نفسه لديانة سبقت كانت لها أصول صحيحة في الماضي(٤).

---

(١) سورة المائدة، جزء من الآية رقم (٣).

(٢) سورة آل عمران، جزء من الآية رقم (١٩).

(٣) سورة آل عمران، الآية رقم (٨٥).

(٤) كالحال مع دين الله لموسى (عليه السلام) ويعرف باليهودية، ودين الله لعيسى (عليه السلام) ويعرف بالنصرانية، وربما كان هؤلاء وقت نزول القرآن ممن يشملهم التعبير القرآني: « قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ»"آل عمران، الآية رقم (٦٤).

وربما نسب نفسه إلى ما نقل إليه عن ديانات أنشأها أصحابها، وسيطرت على عقله المعرفي وتمكنت منه تمكن الداء من الجسد الهزيل، وصار يجادل بها رغم يقينه تساقط أركانها وتهافت جدرانها وتدني أقوالها، لكنه أسير هواه، والله (ﷻ) قد بين أن مثله فقد عقله الواعي، وقاده إلى الضلال عقله الإغوائي، فقال تعالى: «**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**"(١).

ويمكن القول بأن غير المسلمين هنا هو ما يسمى بالآخر، ولعل هذه التسمية قد شغلت بال الكثير من علماء الاجتماع ذلك أن تحديد الآخر يتحدد بوجه الاختلاف الذى يفرق بين الأنا وهذا الآخر، فإذا كان البعض يحددون الآخر على أساس عرقى أو جنسى، فإن هناك من يحدده على أساس لغوى أو عقائدى، ولعل التعريف الأبسط للآخر "هو أن الآخر إما أن يكون فرداً مختلفاً أو مجتمعاً مختلفاً أو ثقافة مغايرة(٢).

وعندما نتحدث عن الآخر بالنسبة للمسلمين فنحن نحدد هذا الآخر بأنه المختلف عقائدياً عن المسلمين أى غير المسلمين سواء كانوا من أصحاب

---

(١) سورة الجاثية، الآية رقم (٢٣).

(٢) ثنائية الأنا والآخر هى إحدى الثنائيات المتناقضة التى شغلت حيزاً كبيراً من مساحة الفكر الفلسفى منذ عصوره الأولى إلى العصر الحاضر، إلا أنها تختلف عن غيرها من الثنائيات مثل الروح والمادة، والوحدة والكثرة، البداية والنهاية، القدم والحدوث، الوجود والعدم، فى أنها لاتزال حتى الآن تستحوذ على إهتمام كثير من المفكرين المعاصرين وبصفة خاصة عند الفلاسفة الاجتماعيين" د/ السيد محمد الشاهد، الخطاب الفلسفى المعاصر من العام إلى الأعم، ص٤٠، ط دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة عام ٢٠٠٠م.

الديانات السماوية السابقة اليهود والنصارى، أو غيرهم من أصحاب العقائد الوضعية، وهذا الموقف الإسلامى نابع من خصوصية النظرة الإسلامية للآخر والتى تتلخص فيما يأتى:

أولاً: غير خاف أن البعض ربما نسب نفسه إلى دين من الأديان يختص بنوع من البشر كالهندوسية، أو اليهودية، أو المسيحية، وارتباطهم بها ربما أورثهم نوعاً من العصبية لها دون بقية البشر فوقعوا فى الانغلاق، لكن الإسلام لم يرتبط بجنس من بنى البشر دون باقى الأجناس، فالإسلام قد تجاوز هذه النظرة الضيقة العنصرية منذ بداية بعثة النبى (ﷺ)، فهو رسالة موجهة للبشر كافة، قال تعالى: "**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**"(١) ولم يجد الرسول الكريم (ﷺ) غضاضة فى انضمام غير العرب لدعوته مثل: بلال بن رباح الحبشى وصهيب الرومى ثم سلمان الفارسى، وهم يمثلون مجتمعات مختلفة كانوا ينتسبون إليها.

ثانياً: أن العقيدة الإيمانية شاملة لهذا الآخر من حيث إنه واحد من أمة الدعوة(٢)، فالإسلام هو الدين الخاتم، والإسلام يمد الجسور لجميع الأفراد أينما

---

(١) سورة سبأ، الآية رقم (٢٨).

(٢) المقصود بالأمة أمتان: أمة الإجابة: كل من انتسب إلى الإسلام، وأمة الدعوة:كل من كُلف باتباع النبي (ﷺ) من الثقلين سواء آمن به أولم يؤمن به، فكل من كان موجودًا من بعثة النبي (ﷺ) فهو مكلف باتباعه، وهذا ما عناه الإمام الفخر الرازى حينما قال: فلا يوجد شخص من الجن والإنس إلا ويكون من أمته إن كان مؤمنا فهو من أمة المتابعة (الإجابة)، وإن كان كافرا فهو من أمة الدعوة" الإمام/ الفخر الرازى، مفاتيح الغيب، ج٢٩ ص٥٣٠، ط الثالثة، دار إحياء التراث العربي – بيروت، عام– ١٤٢٠هـ. وراجع للإمام/ البدر العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج٢ ص ٢٤٨، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت.

كانوا، ويخاطب الأكثرين على الرغم من اختلافهم ودعوته فى الأساس موجهة لهم، يستوى فى ذلك ساكنوا البوادى والكهوف والآبار الجافة، ودعوة الإســـلام لهداية هذه الأكثرية دعوة تتصف بالرحمة والشمول، قال تعالى: "**وَمَا أَرْسَــلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**"(١).

هذا الخطاب الإلهى يوضح لنا بدقة خصوصية النظرة الإســـلامية للآخــر، فالإسلام باعتباره الدين الخاتم المكمل للرسالات السابقة له، يتعامل مع الإنـــسان باعتباره مسلماً أو مسلماً محتملاً، لذلك لايقطع الإسلام كل الخيــوط مــع هــذا الآخر، بل يمد الجسور لهذا الآخر حتى يصل فى النهاية للطريق الحــق، قــال تعالى: "**الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ، رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَــرُوا لَــوْ كَــانُوا مُسْلِمِينَ**"(٢).

ثالثــاً: الإسلام وهو يقرر العقيدة الإلهية يأخذ فى طريقه التكــاليف العمليــة والجوانب الأخلاقية حتى يقدم هداياه للآخر، وكثير منهم استقبل تلــك العطايــا فتحول من معتقد كان له إلى نور العقيدة الإيمانية وصار ممــسكاً بهــا مــدافعاً عنها(٣)، مع ملاحظة أن الإسلام لايقف من المخالفين علـــى الطــرف المقابــل

(١) سورة الأنبياء، الآية رقم (١٠٧).

(٢) سورة الحجر، الآيتان(١ــ٢).

(٣) من ذلك قصة إسلام سيدنا عمر بن الخطاب (ﷺ)، حينَ قَرَأَ الْقُرْآنَ، وَعَلِمَ إِعْجَازَهُ، وَمَا كَانَ مِنْ إِجَابَةِ اللهِ (ﷻ) فِيهِ دَعْوَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ بِــإِعْزَازِ دِينِــهِ بِإِسْلَامِ أَحَدِ الرَّجُلَيْنِ، عمر بن الخطاب، وعمرو بن هشام، فلما أخذ القرآن بمجامع قلبــه قاده إلى نور الإيمان، وازداد تمسكه من بعدها بدينه، حتى صار فاروقاً، فرق الله تعالى به بين الحق والباطل، وواحداً من الخلفاء الراشدين" راجع للإمام / أبو بكــر البيهقــى (ت ٤٥٨هــ)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ج٢ ص ٢١٥، ط الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، عام، ١٤٠٥هــ.

بشكل دائم، فما أسهل أن يصبح جزءاً من الأنا باعتناق الإسلام، هـذا الانتقـال يعنى التخلص تماماً من كل تراث الاختلاف أو حتى العداء فدخوله فى الإسلام يسقط عنه حتى الجرائم التى ارتكبها فى حق المسلمين بما فيها جـرائم القتـل، وهو قبول للآخر لانجد له مثيلاً، فاستسلام العدو فى القوانين العسكرية أو حتى المدنية لا يعنى إسقاط التهم عنه، أما الإسلام فإنه يجب ما قبله.

رابعاً: أن نصوص الإسلام قرنت وحدانية الله تعالى بطاعة الوالدين من غير نظر إلى معتقدهما، فقال تعالى: "**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**"(١) والمتأمل يجد أن هذا الأمر الإلهى يراعى أن الآخر يمكن أن يكـون قريباً من المسلم، كأن يكون الأب أو الأم أو الأبناء والزوجة والإخوة، ويحفـظ التاريخ نماذج كثيرة لهذه الحالات فقد كان عبدالرحمن بن أبـى بكـر مـشركاً ووالده الصديق الصدوق لرسول الله (ﷺ)، وكان عبدالله بن سلول كبير المنافقين بالمدينة وابنه مؤمناً..، ولايزال الاحتمال قائماً، فربما يعتنق أحـدهم الإسـلام وتظل عائلته أو أفراد من أسرته غير مسلمين.. لذلك تتجلى صفة الرحمة فـى الإسلام تجاه المخالفين، فالحق تعالى يأمر ببر الأقارب والأهل خاصة الوالـدين حتى وإن خالفوا المسلم فى العقيدة، فالبر بالأهل أدعى لتقريبهم من الإسلام.

خامساً: أن منظومة القيم الأخلاقية التى يقرها الإسلام تـسرى علـى غيـر المسلم كما تسرى على المسلم، يقول الله تعالى: "**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**"(٢) ويقول الإمام / الفخر الـرازى: "لمـا حكى عن أهل الكتاب أنهم كتموا الحق حيث قالوا للذين كفروا: هؤلاء أهدى من

---

(١) سورة الإسراء، جزء الآية رقم (٢٣).

(٢) سورة النساء، الآية رقم (٥٨).

الذين آمنوا سبيلا، أمر المؤمنين في هذه الآية بأداء الأمانات في جميع الأمــور، سواء كانت تلك الأمور من باب المــذاهب والــديانات، أو مــن بــاب الــدنيا والمعاملات"(١) فقد تجاوز هذه كلها من خلال العقيدة الإيمانية، والتركيز علــى محور حرية الاعتقاد وتكافؤ الجميع فى الإنسانية.

إن الأمانة يجب أن تؤدى لصاحبها سواء كان مسلماً أو غير مسلم، والعــدل هو الذى يجب إعلاؤه سواء كان الخصم مسلماً أو غير مسلم، يقول الله تعــالى: **"وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّــهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ"**(٢) فالوفاء بالعهد واجــب للمــسلم ولغيــر المسلم، بل لانبالغ إذا قلنا إن كثيراً من المدن والبلاد التــى فتحهــا المــسلمون فتحت بفضل وفاء المسلمين بعهودهم، حتى تسابقت المدن فى الشام مثلاً لإبرام عهود مع المسلمين للسلام بدلاً من قتالهم، وظل المسلمون أوفياء لما أبرموه من عهود.

هذا وقد حض الإسلام على إجارة المستجير المسلم وغير المسلم، وعلى عدم الاعتداء، يقول الله تعالى فى محكم كتابه: **"إِنَّ اللَّهَ يَــأْمُرُ بِالْعَــدْلِ وَالْإِحْــسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَــنِ الْفَحْــشَاءِ وَالْمُنْكَــرِ وَالْبَغْــيِ يَعِظُكُــمْ لَعَلَّكُــمْ تَذَكَّرُونَ"**(٣) ويقول الرسول الكريم (ﷺ): **"إنما بعثت لأتمم مكارم الاخــلاق"**(٤)

---

(١) الإمام/ فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هــ)، مفاتيح الغيب، ج١٠ ص١٠٨، ط الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، عام ١٤٢٠هــ.

(٢) سورة النحل، الآية رقم (٩١).

(٣) سورة النحل، الآية رقم (٩٠).

(٤) الإمام/ أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هــ)، السنن الكبــرى، ط الثالثــة، المحقــق: محمــد عبد القادر عطا، ج١٠ ص٣٢٣، حديث رقم (٢٠٧٨٢) دار الكتب العلمية، بيــروت – لبنان، عام، ١٤٢٤هــ – ٢٠٠٣م.

وهذا دليل على كمال الدين الحق وتمامه، وأنه دين إرتضاه الله تعالى للناس جميعاً، لذا كانت شريعته (ﷺ) مؤبدة لانسخ فيها ولاتغيير، فالأشياء فى التغير والتنقل مالم تكمل، فإذا كملت فتغيرها فساد لها، لأنها خرجت عن أصلها، وكذلك الدين بحقائقة وبأصوله العقدية ثابت لاتغيير فيه ولاتبديل، يدل عليه قوله تعالى: "**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ**"(1) وقد نبه الحق جل شأنه إلى ذلك فقال تعالى: "**وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**"(2) وعليه فالمجادل ينطلق فى حواراته مع المخالفين من أصوله العقدية الثابتة"(3) .

سادساً: ولايخفى أن النصوص الإسلامية قرنت منظومة القيم سرداً فى آيات كثيرة، وجعلت ذلك من علامات استقرار العقيدة فى العقول والقلوب عند استوائها، وجعلت ذلك قاسماً مشتركاً بين جميع الإنسانية، وهى توجه المسلم أن يتعامل مع الآخر باعتباره المختلف وليس الضد أو النقيض، والفرق بين التصورين كبير، فالتعامل مع الآخر باعتباره المختلف لاينفى عنه صفاته الإنسانية أو يفترض فيه النقائص، بل يحدد وبدقة الوجه الذى عليه خلاف وفيه اختلاف، أما التعامل مع الآخر باعتباره الضد أو النقيض فيستلزم تجريد هذا الآخر من كل الصفات الحميدة، بل وتجريده أحياناً من إنسانيته، حتى يبدو وكأنه مخلوق غريب قادم من كوكب آخر يسعى للتدمير وبث الكراهية فتجب

---

(1) سورة يونس، جزء الآية رقم (٣٢) والآية بتماها قوله تعالى: "**فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ**".

(2) سورة المائدة، جزء الآية رقم (٣).

(3) راجع للإمام / أبو القاسم الراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، ج٤ ص٢٦٧، (جزء ٤،٥: من الآية ١١٤ من سورة النساء – وحتى آخر سورة المائدة)، تحقيق ودراسة: د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، ط الأولى، كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى، عام ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

معاملته بالمثل([1])، يقول الله تعالى: "**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**"([2]) إن الاختلاف بين هؤلاء جميعاً متروك لله يحكم فيه يوم القيامة، يقول الإمام/ القاسمى: "يخبر تعالى عن أهل هذه الأديان المختلفة، أنه يقضي بينهم في الآخرة بالعدل"([3]).

سابعاً: ومن الجدير بالذكر الإشارة هنا إلى أن الحقوق التى أقرها الإسلام للإنسان المسلم وغير المسلم ليست مجرد حقوق من حق الفرد أو الجماعة أن يتنازل عنها أو عن بعضها، وإنما هى ضرورات إنسانية فردية كانت أو اجتماعية، ولاسبيل إلى حياة الإنسان بدونها، حياة تستحق معنى الحياة، ومن ثم فإن الحفاظ عليها ليس مجرد حق للإنسان بل هو واجب عليه أيضاً، يأثم هو ذاته فرداً أو جماعة إذا هو فرط فيها، وذلك فضلاً عن الإثم الذى يلحق كل من يحول بين الإنسان وبين تحقيق هذه الضرورات، يأثم المسلم إذا فرط فى حق

---

(١) يمكن التمييز بين مذهبين كبيرين من مذاهب الناس فى النظر إلى الآخر وبالتالى إلى أسلوب التعامل معه، فالبعض يرى فى الآخر غيراً ونداً مزاحماً له فيفضل منطلق" الصراع" أو ما يمكن التعبير عنه"بإما أنا أو هو" والبعض الآخر يرى فى الآخرغيراً ومكملاً، فيفضل منطلق "التوافق"، أو ما يمكن أن يعبر عنه "بأنا وهو" والتعبير الثانى هو ما يهدف إليه الإسلام فى جداله مع الآخرين" د/ السيد محمد الشاهد، الخطاب الفلسفى المعاصر من العام إلى الأعم، ص٤١، ط دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة عام ٢٠٠٠م.

(٢) سورة الحج، الآية رقم (١٧).

(٣) الإمام/ محمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)، محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل عيون السود، ج٧ ص٢٣٧، ط الأولى، دار الكتب العلميه – بيروت، عام ١٤١٨هـ.

أقره الله له كما يأثم إذا منع حقاً منحه الله ورسوله للآخر، وبهذه النظرة الأخلاقية الخاصة تعامل الإسلام مع الآخر، وبهذه الروح حفظ للآخر كرامته وإنسانيته وحريته"([1]).

أخلص مما سلف إلى أن تحديد المفاهيم وتحرير المصطلحات كما هو مفيد فى هذا الجانب، فإن إفادته من الناحية التوظيفية لاتقل أهمية عن سابقتها بل ربما زادت عليها من جوانب متعددة، ومن الواضح أن المنهج الإسلامي في التعامل مع هذا الصنف قد سلك مسالك متنوعة واتخذ طرائق متعددة، يمكن أن تبدو بين صفحات تلك الدراسة من خلال ما سيرد إن شاء الله تعالى.

---

(١) راجع للأستاذين / أحمد الجوهرى، محمد مصطفى، الإسلام والآخر، ص١٨ ص٢٢، بتصرف، ومن المعلوم أن الإسلام قد بلغ فى الإيمان بالإنسان وفى تقديس حقوقه إلى الحد الذى تجاوز بها مرتبة "الحقوق" عندما اعتبرها "ضرورات" ومن ثم إدخالها فى إطار الواجبات" راجع للدكتور / محمدعمارة، الإسلام وحقوق الإنسان، ضرورات لاحقوق، ص١٤ ص١٥، سلسلة عالم المعرفة، عدد ٨٩، ط المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مايو عام ١٩٨٥م، والكتاب بمجمله يعد دراسة وافية متميزة عنيت بإبراز جانب الحقوق والواجبات الإنسانية فى الإسلام.

الفصل الثاني
طبيعة الجدل السلمي ومنهجه

عقيدة الإسلام محمولة فى نصوصها قائمة فى تطبيقاتها يعرف المسلم بها سواء فى حياته الشخصية أم تعاملاته مع الآخرين، من حيث ثباتها فى أصولها ومرونتها عند التعامل بها، بدليل أن القرآن الكريم منذ نزل سيبقى هو هو إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لا تبديل لكلمات الله، والسنة النبوية المطهرة الصحيحة كذلك شأنها لا زيادة فيها ولا نقصان عنها، فالإسلام في أصله (القرآن والسنة) محكم، أما ما تحمله تلك النصوص فهو متضمن كافة مصالح الناس إلى يوم الدين ولذلك تستوعب مقتضيات كل عصر، وتقدم حلولاً لكل مشكلة تطرأ حتى بات من الصواب القول بأن مرونة نصوص الإسلام دالة على كمال الدين وتمامه"([1]).

وحينما نقول إن الإسلام هو الدين الذى إرتضاه الله لعباده ليحقق لهم سعادتهم فى دنياهم وأخراهم، فإن العقل المسلم فى فهمه لهذه القيمة العظيمة التى تتآلف قلوب المؤمنين حولها، تعتمد فى فهمها لمعطيات هذا الدين على أسس والتي يشكِّل الوجدان الإنساني ّومعطيات العقيدة الإسلامية بمصدريها قاعدة الانطلاق ومرجعيّة التقويم لها، بما يعين المسلم على قبول التنوع والاختلاف.

---

(١) راجع للدكتور/ علي جبر، محاضرات في العقيدة الإسلامية، ص١٣، ط الدار الفنية بالقاهرة، عام ١٩٦٣م.

الأسس العقدية فى التعامل مع غير المسلمين.

العقيدة الإسلامية تفرض على المسلم ضرورة التعامل مع غير المسلمين، وتضبط له طرائق ذلك التعامل فى منهجية واضحة لاتخطئها عين فاحصة، ولايجتهد فى التعرف عليها عقل سليم، وذلك من دلائل كمال العقيدة الإسلامية وتمامها، وهذا فى حد ذاته راجع إلى مراعاة النصوص الشرعية الواردة فى أصول الدين الإسلامى الحنيف من مصدريه القرآن الكريم وسنة النبى الكريم محمد (ﷺ) والتى يمكن الإشارة إليها من خلال الأسس الآتية:

الأساس الأول: الفطرة الصافية.

(أ) **تعريفها**: **(أ) فى اللغة**: وردت لفظة (الفطرة) فى معاجم اللغة على معان تفيد بمجموعها:

١- إبتداء الأمر، والخلق المبدع المتكامل، وهى مافطر الله عليه الخلق من المعرفة السليمة، وهى الخلقة التى يخلق الله عليها المولود فى بطن أمه، فيولد وهو مزود بالمعرفة الإلهية أو لديه استعداد لقبولها"(١)

٢- وهى الهيئة المستعدة لقبول الدين وهذه الفطرة لاتقتصر على الإنسان بل هى ممتدة فى سائر الأكوان، من حيث إن الله سبحانه قد فطر كل كائن على الإقرار بوجوده جل شأنه، والاستجابة لأوامره ونواهيه، ويعبر عنها

---

(١) العلامة/ ابن منظور، لسان العرب، ج٥ ص٥٦، وانظر معجم مقاييس اللغة للعلامة/ أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، باب الفاء مع الطاء وما يثلثهما، ج٤ ص٥١٠، المحقق: عبد السلام محمد هارون، ط دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. والمعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرين، ج٢ ص ٦٩٤، ط دار الدعوة، القاهرة.

بالدين"(١) ويستدل عليها بقوله تعالى: "**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**"(٢) والشاهد فيه أن الله تعالى لما نادى عليهما استجابتا للأمر الإلهى، بما أودعه الله تعالى فى تكوينهما، وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع إذا ورد عليه فعل الآمر المطاع"(٣) وعليه فالفطرة أودعهاالله سبحانه فى كل الكائنات وهى مستجيبة لأمره.

(ب) فى الاصطلاح:

وردت مادة (ف. ط. ر) فى القرآن الكريم حوالى إثنتين وعشرين مرة (٤) وقد وضع لها العلماء عدة تعريفات إصطلاحية ألتقط بعضاً منها، وهى كما يأتى:

١- الإقرار بمعرفة الله تعالى: فالقرآن الكريم يتحدث عن الفطرة باعتبارها الوسيلة إلى معرفة الله تعالى وتقود صاحبها إلى الإقرار بوجود الخالق جل فى علاه فتأخذ بيد صاحبها لتقوده إلى طريق الهداية، يقول الله تعالى: "**فَأَقِمْ وَجْهَكَ**

---

(١) العلامة/ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، باب الراء فصل الفاء، ص٤٥٧، ط الثامنة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، عام ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٢) سورة فصلت، الآية رقم (١١).

(٣) الإمام/ أبو البركات عبد الله بن محمود النسفي (ت ٧١٠هـ)، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ج٣ ص٢٢٩، ط الأولى، دار الكلم الطيب، بيروت، عام ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٤) الأستاذ/ محمد فؤاد عبدالباقى، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، باب الفاء، ص٥٢٢، ٥٣٣.

لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"(١) يقول الإمام/ المراغى إن المقصود بالفطرة فى الآية: "هى الحال التي خلق الله الناس عليها من القابلية للحق، والتهيؤ لإدراكه"(٢) ويقول الشيخ/ السعدى: "أن الله تعالى هيأ الناس للفطرة السليمة الداعية للإيمان ووضع في عقولهم حسنها واستقباح غيرها، فإن جميع أحكام الشرع الظاهرة والباطنة قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم، الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق وإيثار الحق وهذا حقيقة الفطرة"(٣).

والفطرة شاهدة بوحدانية الخالق جل فى علاه، "فكل إنسان يشعر بفطرته أن ثمة واحداً قد نظم هذا العالم ودبره، لايمكن أن يشابه الممكنات فى شئ من صفاتها، فليس بجسم ولاعرض ولامحدود، ولامتحيز، ولايستطاع إدراكه إلا بآثاره الشاخصة، وهو غير قابل للحلول ولا للصعود ولا للنزول، إلى ذلك اهتدى الأعرابى بفطرته فقال: البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام يدل على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج، كيف لا تدلان على اللطيف الخبير، فجاء الإسلام مصدقاً لما اقتضته الفطرة السليمة، لم يزد فى الاستدلال

(١) سورة الروم، الآية رقم (٣٠).

(٢) الإمام/ أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، تفسير المراغي، ج٢١ ص٤٤، ط الأولى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر عام، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

(٣) الشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط الأولى، ص٦٤٠، مؤسسة الرسالة، عام ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

شيء سوى أنه أيقظ العقول ونبهها إلى النظر فى آثار الله تعالى، ونصوص القرآن شاهدة بذلك"([1]).

٢- أن الفطرة تمثل رسوخاً قوياً فى النفس البشرية، هذا الرسوخ يجعل صاحبه لايحتاج إلى استدلال، فكأنه أصل يبنى عليه غيره فى نفس كل إنسان، وبناءً عليه فالفطرة تعد من المعارف الضرورية لدى كل إنسان وليست نظرية يمكن ردها، لأنها مركوزة فيه أى طبع وجبل عليها، وهذا الشعور يعبر عنه بالغريزة الدينية، وهو المميز له عن الحيوان يقول الشيخ/ الميدانى "إن الدين ومشاعره والدوافع إليه حقائق مغروزة في الفطرة الإنسانية، لا يملك أي إنسان نسخها من الواقع الإنساني، مهما حاول التضليل في الأمر، وفي حال كبتها يعيش الإنسان ضائعاً قلقاً مضطرب المشاعر، ذا حاجة أصيلة في نفسه، وهذه الحاجة محرومة من التلبية الصحيحة"([2]).

٣- الفطرة فى الأصل أمر جامع يشترك فيه كل البشر مؤمنهم وكافرهم دون استثناء، وهى دالة بلفظها على خلقة الإنسان وتكوينه([3]) ومنه قوله تعالى: "**وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**"([4]) يقول الإمام/ الفخر الرازى "فهو فطرنى خَلَقَنِي اختراعاً وابتداعاً، فلَا مَانِع لِي مِنْ عِبَادَتِه الْمَوْجُود

(١) الشيخ / عبدالعزيز جاويش، الإسلام دين الفطرة والحرية، ص١٤، ص١٥، ط وكالة الصحافة العربية بالهرم، جيزة، مصر عام ٢٠١٩م.

(٢) الشيخ/ عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني (ت ١٤٢٥هـ)، صراع مع الملاحدة حتى العظم، ص١٥٠، ط الخامسة، دار القلم، دمشق، عام ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٣) الإمام/ أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، ج٤ ص٥١٠ باب الفاء والطاء ومايثالثهما، المحقق: عبد السلام محمد هارون، ط دار الفكر، عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٤) سورة يس، الآية رقم (٢٢).

مُقْتَضِيهَا"(1) وهو ما يمكن تسميته بالميل الفطرى والطبيعة التي خلقها الله تعالى فيجب لّة كلّ إنسان، في كلّ زمان ومكان، دون حاجة إلى تعليم وتدريب، وهي فطرة عامة يجدها كل إنسان في قرارة نفسه، ولا يتخلف مقتضاها إلا لمانع، كفساد التربية، واجتيال الشياطين، واتباع الهوى.

وهذه الفطرة الصحيحة والأصلية جاءت لتقررها العقيدة الإسلامية، من خلال النصوص الشرعية، يقول الإمام/ الغزالى "فَكل قلب هُوَ بالفطرة صَالح لمعْرِفَة الْحَقَائِق وان كَانَ بَينهَا تفَاوت كثير لِأَنَّهُ أَمر رباني شرِيف كَمَا ذَكرْنَاهُ فَارق سَائِر جَوَاهِر الْعَالم بِهَذِهِ الخاصية والشرف واليه الإشارة بقوله تَعَالَى: "**إِنَّا عرضنَا الْأَمَانَة على السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَالْجِبَال فأبين أَن يحملنها وأشفقن منْهَا وَحملهَا الْإِنْسَان**"(2) إِشَارَة إِلَى أَن لَهُ خاصية تميز بهَا عَن السَّمَاوَات وَالْأَرضين وَالْجبَال بهَا صَار مطيقا لحمل أَمَانَة الله تَعَالَى وَتلك الْأَمَانَة هِيَ الْمعرفَة والتوحيد وقلب كل آدَمِيّ مستعد للأمانة ومطيق لَهَا فِي الأَصْل"(3) وهواتجاه إنفرد به الإمام / أبو حامد الغزالى فى بيان معنى الفطرة، حيث أبان عن معنى الأمانة التى تعنى التكليف، وأوضح مايعين على قبولها وتحملها من جانب المكلف وهى الفطرة.

---

(1) الإمام/ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، ج٢٦ ص١٤٦، ط الثالثة، دار إحياء التراث العربي – بيروت، عام – ١٤٢٠هـ.

(2) سورة الأحزاب، الآية رقم (٧٢) والآية بتمامها قوله تعالى: "**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**".

(3) الإمام/ أبو حامد الغزالي(ت ٥٠٥هـ)، معارج القدس في مدراج معرفة النفس، ص٩٦، ط الثانية، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ١٩٧٥م.

ويستدل على وجود الفطرة وثباتها من السنة النبوية المطهرة، بقولــه (ﷺ): "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينــصرانه، أو يمجــسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء"([1]) يقول الإمام/ أبو حنيفة "خلق الله تَعَالَى الْخلق سليما من الْكفْر وَالْإِيمَان ثمَّ خاطبهم وأمرهم ونهاهم فَكفر من كفر بِفعْلِهِ وإنكاره وجحوده الْحق بخذلان الله تَعَالَى إِيَّاه وآمن من آمن بِفعْلِهِ وَإِقْرَاره وتصديقه بِتَوْفِيق الله تَعَالَى إِيَّاه ونصرته لَهُ أخرج ذُرِّيَّة آدم مــن صلبه فجعلهم عقلاء فخاطبهم وَأمرهمْ بِالْإِيمَان ونهاهم عَن الْكفْــر فــأقروا لَـــهُ بالربوبية فَكَانَ ذَلِك مِنْهُم إِيمَانًا فهم يولدون على تِلْكَ الْفطْرَة وَمن كفر بعد ذَلِــك فقد بدل وَغير وَمن آمن وَصدق فقد ثَبت عَلَيْهِ وداوم"([2]).

إن الإنسان يولد ولديه استعداد وميل لقبول الحق، وهــذا الاســتعداد يجعلــه يختار الحق حين تترك له حرية الاختيار بشرط ألا يلحق هذا الاستعداد تــشويه من عوامل ومؤثرات خارجية، وهذه المؤثرات لاتميت الفطرة أو تقضى عليها، بل تحدث فى نفس صاحبها نوعاً من الغشاوة فقط، نعم فقد يغفو هــذا الــشعور بسبب ما من الأسباب، فلا يستيقظ إلا بمثير يبعث على يقظته من ألم ينــزل، أو ضر يحيط.. وإلى هذا تشير الآية الكريمة:

---

(١) لإمام/ محمد ابن إسماعيل البخارى، صحيح البخارى، محمد زهير بن ناصر الناصــر، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبى فمات هل يصلى عليه وهل يعرض علــى الــصبى الإسلام، ج٢ ص٩٤، حديث رقم (١٣٥٨) ط أولى، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـــ.

(٢) لإمام/ أبوحنيفة النعمان (ت ١٥٠هــ)، الفقه الأكبر، مطبوع مع الشرح الميــسر علــى الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة تأليف محمد بن عبد الــرحمن الخمــيس، ص٣١، ط الأولى، مكتبة الفرقان – الإمارات العربية، عام ١٤١٩هــ – ١٩٩٩م.

"وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُـــرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"(١) وهذا مما يدلل على أصالة الفطرة ورسوخها فى النفس.

وهذا ما شهد به الواقع "فكثيراً ما تنكشف الحجب عن الفطرة، فتزول عنهـــا الغشاوة التي رانت عليها عندما تصاب بمصاب أليم، أو تقع في مأزق لا تجـــد فيه من البشر عوناً، وتفقد أسباب النجاة، فكم من ملحد عرف ربّـــه وآب إليـــه عندما أحيط به، وكم من مشرك أخلص دينه لله لضرّ نزل به، يشهد لـــه قولـــه تعالى: "حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريـــح عاصفٌ وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلـــصين له الدين لئنِ أنجيتنا من هذه لنكوننَّ من الشاكرين"(٢).

وقد سمعنا كيف آب ركاب طائرة ما إلى ربّهم عندما أصاب طائرتهم خلـــل، فأخذت تهتز وتميل، وتتأرجح في الفضاء، والطيار لا يملك من أمره شيئاً فضلاً عن الركاب، هناك اختفى الإلحاد، وضجّت الألسنة بالدّعاء، ورغبت القلوب إلى ربها بصدق وإخلاص، ولم يبق للشرك والإلحاد وجود في مثل هـــذا الموقـــف الرهيب"(٣).

ولعل السبب الحقيقى وراء ذلك أن فى النفس البشرية غريزة فطرية للتـــدين، يدل عليها إجماع الناس على الاحتياج إليه، حتى فى القرن التاسع عشر الـــذى بلغت النظريات الإلحادية فيه أوج عظمتها، وما كان هذا الإجماع لينعقـــد إلا أن

---

(١) سورة يونس الآية رقم (١٢).

(٢) سورة يونس الآية رقم (٢٢).

(٣) الدكتور/ عمر سليمان الأشقر، الرسل والرسالات، ص٥١،

فى النفس البشرية داعية فطرية إليه، وفى العقل الإنسانى حاجة به للكمال النفسى والروحى"(١).

ولأن الفطرة الصافية كانت بهذه المثابة فإنها تدرك الإنسانية فى مفهومها العام، كما تدرك القواعد المشتركة بين أفراد تلك الإنسانية، وبالتالى تفرض عليهم جميعاً التشارك فى مسائل الحياة(٢) وجاءت العقيدة الإسلامية لتضع نظاماً ومنهجاً قويماً فى التعامل مع الآخر وقبوله بالنسبة لما تقع به المشاركة فى أمور الحياة.

والمسلم حينما يدعو غيره للإسلام إنما يتبع نداء فطرة الله فى إعادتها إلى الإيمان الموافق لطبيعتها، وهو فى صنيعه هذا يستنقذ غيره بإحياء الطاقات الربانية الكامنة فيه ليأخذ بيده إلى طريق النجاة.

الأساس الثانى: وحدة الأصل الإنسانى.

قررت العقيدة الإسلامية أن البشر جميعاً خلقوا من أصل واحد، وفق إرادة ومشيئة إلهية، وأن أصلهم فى النسب واحد، وهم من رحم واحدة، فأبوهم آدم وأمهم حواء، فالله قد خلق الناس جميعاً من نفس واحدة، تجمع بينهم وشائج القربى، وما الاختلاف الذى يبدو بينهم إلا أمر طارئ، قال تعالى: "**يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا**

---

(١) الأستاذ/ محمد فريد وجدى، حاجة الناس إلى الدين، مقال نشر بمجلة الأزهر، العدد ج٢ السنة ٩٤ ص٢١٨، ص٢١٩، صفر ١٤٤٢هـ أكتوبر ٢٠٢٠م، وراجع للأستاذ / أنور الجندى، منهج الإسلام فى بناء العقيدة والشخصية، ص٣٩، ط دار الاعتصام، القاهرة.

(٢) هذا التشارك لايتوقف على لون أو ديانة أو محل إقامة، وإنما هو موقوف على وجود المجتمع الإنسانى.

كَثِيرًا وَنِسَاءً"([1]) هذه النفس التى خلقها الله تعالى وأوجدها، صانها فى تشريعاته وأحكامه حتى لايعتدى عليها أحد، يدل عليه قوله تعالى: "**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**"([2]).

ومتأمل هاتين الآيتين فى سياق المجادلة مع المخالفين، يجدهما قد تضمنتا دلالات عقدية:

الأولى: أن الله تعالى وصف نفسه بأنه المتوحد بخلق جميع الأنام من شخص واحد، معرفاً بذلك عباده كيف كان مبتدأ إنشائهم من نفس واحدة، يقول الإمام/

---

(١) سورة النساء، جزء الآية رقم (١) وقد ورد ذكر النفس الواحدة فى العديد من سور القرآن الكريم، الأنعام الآية رقم (٩٨) والأعراف الآية رقم (١٨٩) والزمر الآية رقم (٦) ومن التقريرات التى تضمنتها العقيدة الإسلامية أن هذه الكثرة فى الخلق ترتب عليها مبدأ التعارف، وهو مبدأ إلهى ينطوى على حكمة لله تعالى، تتمثل فى السعى إلى توطيد أركان المصلحة المشتركة بين الإنسان وأخيه الإنسان، يدل عليه قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**" سورة الحجرات، جزء الآية رقم (١٣) ومبدأ المصلحة هو مبدأ يعرفه الإنسان بفطرته وغريزته ويقرره بعقله، بل تعرفه سائر الكائنات الحية التى تعيش فى هذه الحياة بدافع من غرائزها، يقول الإمام أبو حامد الغزالى: "وجلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق، وصلاح الخلق فى تحقيق مقاصدهم" الإمام/ أبوحامد الغزالى، المستصفى، ص١٧٤، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط الأولى، دار الكتب العلمية، عام، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، وراجع للدكتور/ راغب السرجانى، المشترك الإنسانى نظرية جديدة للتقارب، ص٢٢، ص٣٢، ط ألأولى، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، عام ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.

(٢) سورة المائدة، جزء الآية رقم (٣٢).

الماتريدى: "وهى من الحجج والدلائل التى يتوصل بها إلـــى معرفـــة الـــصانع وتوحيده،، لينظروا فيها وليتفكروا فيعرفوا بها خالقهم وإلههم"([1]).

الثانية: دلالة أخلاقية نابعة من المعنى العقدى ولازمة لـــه، حيـــث نبـــه الله تعالى عباده جميعهم بأنهم بنو رجل واحد وأم واحدة، وأن بعضهم من بعــض، فحق بعضهم على بعض واجب وجوب حق الأخ على أخيه لاجتماعهم فى نسب واحد هو آدم (عليه السلام)، وأن الذى يلزمهم رعاية بعضهم حـــق بعــض، وإن بعــد التلاقى فى النسب إلى الأب الجامع بينهم مثل الذى يلزمهم فى ذلك من النـــسب الأدنى، وعاطفاً بذلك بعضهم على بعض ليتناصفوا ولا يتظالموا، وليبذل القوى من نفسه للضعيف حقه بالمعروف على ما ألزمه الله تعالى به"([2]).

الثالثة: التأكيد على حرمة النفس الإنسانية بصفة عامة، بتحريم قتلها ما لـــم يكن قصاصاً أو عقاب على نوع من الجرائم الأخرى الموجبة لـــذلك، لأن مـــن أحياها باستبقاء حياتها كالعفو أو منع من القتل، أو استنقاذ من بعــض أســـباب الهلكة، فكأنما فعل ذلك بالناس جميعاً"([3]) ويقول الله تعالى محـــذراً مـــن قتـــل

---

(١) الإمام/ أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل الـــسنة)، المحقق: د. مجدي باسلوم، ج ٣ ص ٣، ط الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، عام، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

(٢) الإمام/ محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، ج٧ ص٥١٢، ط الأولى، مؤسسة الرســالة، عـــام، ١٤٢٠هـــ – ٢٠٠٠م.

(٣) الإمام/ عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، أنوار التنزيـــل وأســـرار التأويـــل، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط الأولى، ج٢ ص ١٢٤، دار إحياء التـــراث العربي – بيروت، عام– ١٤١٨هـ.

النفس: "**وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ**"(١) قال الإمام/ الفخر الرازى: "أنا إذا لم نعرف في الإنسان صفة من الصفات إلا مجرد كونه إنسانا عاقلا حكمنا فيه بتحريم قتله، وما لم نعرف شيئا زائدا على كونه إنسانا لم نحكم فيه بحل دمه، إذ أن أصل الإنسانية يقتضي حرمة القتل، وإلا لما كان كذلك فثبت بهذه الوجوه أن الأصل في القتل هو التحريم. وأن حله لا يثبت إلا بأسباب عرضية"(٢) وعليه فالإسلام يحرم قتل الإنسان لشرف وجود صفة الإنسانية فيه، وأن حل ذلك لايكون إلا بأسباب عرضية.

ووفق هذا المبدأ حفظ الإسلام الحقوق لأفراد النوع الإنسانى وجعلها متساوية، دون انتقاص فلامساس بحق فرد منهم، ويعد العدوان عليه عدوان على البشرية كلها، وفى المقابل من يقدم له يد العون والمساعدة فكأنما قدمها للناس جميعاً، وهذه دعوة نابعة من أصول العقيدة الإسلامية، للمخالفين للتلاقى فى رحاب الإيمان، وفق قواعد الحق والعدل

الأساس الثالث: وحدة أصل الأديان السماوية:

الإسلام بنصوصه ينظر إلى الأديان السماوية على أنها واحدة في مصدرها وأصولها وأهدافها وغاياتها، وهذه النظرة نابعٌة من عمق الأصول العقدية التي اعتمدها، والداعية إلى وحدة العقيدة، والإيمان وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، يدل عليه قوله تعالى: "**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**"(٣) والمقصود بالعبادة التوحيد، وقد شرعت هذه العبادة لصلاح الخلق وهذا غايتها،

---

(١) سورة الإسراء، جزء الآية رقم (٣٣).

(٢) الإمام/ فخر الدين الرازى، مفاتيح الغيب، ج٢٠ص٣٣٣، ط الثالثة، دار إحياء التراث العربي – بيروت، عام– ١٤٢٠هـ.

(٣) سورة الذاريات، الآية رقم (٥٦).

يقول الإمام/ البقاعى: "لينجروا تحت أقضيتي على وجه ينفعون بـــه أنفـــسهم أو يضرونها لا لشيء يلحقني أنا منه شيء من نفع أو ضرر، فإني بنيـــتهم علـــى العجز وأودعتهم نوازع الهوى، وركبت فيهم غرائز فهيأتهم لاتباع الهدى، فمن أطاع عقله كان عابداً لي فارّاً إليّ مع جريه تحت الإرادة، عبادة شرعية أمريـــة يستفيد بها الثواب، ومن أطاع الهوى كان عابداً لي مع مخالفته أمـــري عبـــادة إرادية قسرية يستحق بها العقاب"(١) وقوله جل شأنه: "**وَمَا أُمِرُوا إِلَّـــا لِيَعْبُـــدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُـــوا الزَّكَـــاةَ وَذَلِـــكَ دِيـــنُ الْقَيِّمَةِ**"(٢).

وآيات القرآن الكريم تلفت الأنظار إلى حقيقة وجود الإيمان بالله تعالى الـــذى يمثل العقيدة الصحيحة، وأنه الغاية التى بعث الله مـــن أجلهـــا الأنبيـــاء والرسل إلى أقوامهم، يدل عليه قوله تعالى: "**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُـــوا وَالَّـــذِينَ هَـــادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْـــرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**"(٣) وقوله تعالى: "**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**"(٤)

لذا ألزم الإسلام أتباعه بالإيمان بالرسالات السابقة وبالرسل الـــذين بلغوهـــا، وعده جزءاً من أركان الإيمان لكونها وحياً من عند الله تعالى، قال جل شـــأنه:

---

(١) الإمام/ إبراهيم بن عمر بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـــ)، نظم الـــدرر فـــى تناســـب الآيات والسور، ج١٨ص٤٨١، ط دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

(٢) سورة البينة، الآية رقم (٥).

(٣) سورة البقرة، الآية رقم (٦٢).

(٤) سورة آل عمران، الآية رقم (٦٤).

"آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ"(1)

ومن السنة النبوية المطهرة قوله (ﷺ): **"مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين"**(2) فكان تتميم الأنبياء وختمهم بنبوة النبى محمد (ﷺ)، فشبه الْأَنْبِيَاء وَمَا بعثوا بِهِ من إرشاد النَّاس إِلَى مَكَارِم الْأَخْلَاق بدار أسس قَوَاعده وَرفع بُنْيَانه وَبَقِي مِنْهُ مَوضِع لبنة، فنبينا (ﷺ) بعث لتتميم مكَارِم الْأَخْلَاق كَأَنَّهُ هُوَ تِلْكَ اللبنة الَّتِي بهَا إصْلَاح مَا بَقِي من الدَّار"(3).

أخلص مما سلف إلى أن العقيدة الصافية مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهى ثابتة فى الفطرة قائمة فى البدهيات العقلية، مرتبط وجودها بقبول الآخر، وبذل حقه له من غير ضغط عليه أو إكراه له.

الأساس الرابع: الإقرار بسنة التنوع والاختلاف كطبيعة بشرية.

العقيدة الإسلامية تهدف إلى هداية الناس جميعاً، عن طريق فتح قلوبهم وعقولهم لقبول هذا الدين الحق، مع مراعاة طبائعهم واختلافها، وتقدير هذه

---

(1) سورة البقرة، الآية رقم (285).

(2) الإمام/ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، صحيح البخارى، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ج4 ص186، حديث رقم (3535)، ط الأولى، دار طوق النجاة، عام 1422هـ.

(3) الإمام/ البدر الدين العينى (ت 855هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج16 ص98، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت.

الطبيعة فيهم، وهى سنة إلهية، لذا لم يفرض عليهم الإيمان كـضرورة حتميـة، حتى لايتعارض مع ضرورات التكوين البشرى والحكمة الإلهية، وأن تحـصيل الإيمان لابد أن يكون اختيارياً، قال تعالى: "**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُـمْ فَمَـنْ شَـاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** "يقول الإمام/ الفخرالرازى: "الآية صـريحة فـي أن حصول الإيمان وحصول الكفر موقوف على حصول مشيئة الإيمان وحـصول مشيئة الكفر وصريح العقل أيضا يدل له، فإن العقل الاختياري يمتنع حـصوله بدون القصد إليه وبدون الاختيار له"(١) ومعلوم أن حرية الاختيار هـى التـى يترتب عليها حصول الثواب والعقاب، وهذا مقتضى العدل الإلهى.

لكن يجب أن نلاحظ أن عقيدة التوحيد الخالص لله تعـالى، قررتهـا الآيـة الكريمة فى قوله تعالى: "**وقل الحق من ربك**" فالإنسان بنص الآية مـدعو إلـى الإيمان بالله تعالى، وكأن الرسول (ﷺ) يخاطبهم عندئـذ بقولـه: "إنـي بلغـت الرسالة إليكم فلا أكرهكم أنا على الإسلام ولا أحد سـواي"(٢)؛ فالإيمـان هـو المراد للعبد من ربه بمدلول الآية وليس الكفر، إذ لايتساوى الإيمـان بـالكفر، والدليل عليه أن الله تعالى قدم الإيمان فى الآية على الكفر، يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: "والتعبير بربكم للتذكير بوجوب توحيده، وقدم الإيمان على الكفـر لأن إيمانهم مرغوب فيه"(٣) وعليه فكفرهم ليس مراداً، وهذا فرق يجب العنايـة به والالتفات إليه فى جانب العقيدة ودعوة المخالفين.

---

(١) الإمام/ أبو عبد الله محمد بن عمرفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، مفـاتيح الغيـب، ج٢١ ص٤٥٨، ص٤٥٩، ط الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، عام١٤٢٠هـ.

(٢) الإمام/ محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، تفـسير الماتريـدي (تأويلات أهل السنة)، المحقق: د. مجدي باسلوم، ج٧ ص١٦٦، ط الأولى، دار الكتـب العلمية – بيروت، لبنان، عام ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

(٣) الإمام/ محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير «تحريـر المعنـى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج١٥ ص٣٠٧، ط الدار التونسية للنشر – تونس، عام ١٩٨٤م.

ما سقته من دلائل العقيدة، يعد خلفية مهمة تحكم تصور المسلمين للمخالفين لهم فى الإعتقاد والمغايرين لهم فى المبادئ فلن يوجد زمان يتفق فيه العالمون على رأى واحد فى قضية ما، بما فيها قضية الألوهية والتوحيد،فالاختلاف فى الناس سنة قائمة، قال تعالى: "**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**"([1]) فالمسلم يقبل ببساطة أن يوجد مخالفون له فى العقيدة، ويعلم أن إختفاءهم من الأرض مستحيل، مما يدفعه إلى التعايش معهم بشكل طبيعى، وخاصة أن نصوص العقيدة وأحكام الشريعة الإسلامية توضح بجلاء أطر التعامل وآليات التفاهم مع غير المسلمين"([2]).

والإسلام بهذه النصوص يسمح للفرد الواعي لملاقاة الأخر على مائدة واحدة، وتقاسم المسافات بحيث تكون المفاوضات طريقاً قريباً لبلوغ أسمى الغايات بدليل أن النصوص الإسلامية كلفت الإنسان الواعي أن يكون داعية إلى الله باعتبار أن كل مسلم واعٍ مبلغٌ عن الله وعن رسول الله، طبقاً لقاعدة عامة وهي أن الإسلام بنصوصه يمارس الدعوة له المسلمون بأنفسهم والعلماء هم أولى الناس للقيام بهذه المهمة"([3]).

في ذات الوقت قامت نصوص تقرر مبادئ عامة في الجدل وهي:

---

(١) سورة هود، الآية رقم (١١٨).

(٢) الدكتور/ راغب السرجانى، فن التعامل النبوى مع غير المسلمين، ص٢٦، ط أول، دار أقلام للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة عام ٢٠١٠ م.

(٣) راجع للدكتور/ محمد ضياء الدين الريس، النظريات السياسية الإسلامية، ص١٣٨، ط رابعة، دار النهضة المصرية عام ١٩٨٤م، وراجع للدكتور/ عبد الرازق السنهوري، فقه الخلافة، ص٨٣.

١- التزام احترام المحاورة بآدابها:

بحيث يكون المنهج هو تقرير العقيدة الإيمانية الصافية، وعرضها في لغة هادفة راقية، ثم الوقوف بها عند مجرد الإبلاغ، لا الإملاء والإجبار، يدل عليه توجيه الله لرسوله (ﷺ) في قوله: "**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ**"(١).

هاتان الآيتان جاءتا فى سياق المحاورة والمجادلة التى حدثت بين النبى (ﷺ) والمشركين حين أخبرهم عن الجنة وما فيها فاستعظموا الأمر وأنكروه"(٢)، فقال تعالى: "**أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ**"(٣) فنزلت هذه الآيات لتنبه المخالفين والمعاندين إلى قدرة الله (ﷻ) المتمثلة فى بديع صنعه وحكمته بما أودعه الله فى مخلوقاته الماثلة أمامهم من الإبل والسماء والجبال والأرض من منافع تعود عليهم وهى دلائل تقع مجرى أبصارهم، لينظروا نظر اعتبار إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ خلقاً دالاً على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الأثقال إلى البلاد النائية، فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الأعناق لينوء بالأوقار، ترعى كل نابت وتحتمل العطش إلى عشر فصاعداً ليتأتى لها قطع البوادي والمفاوز، مع مالها من منافع أخرى، وَإِلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ بلا عمد، وَإِلَى الْجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ فهي راسخة لا تميل،

---

(١) سورة الغاشية: الآيتان (٢١)، (٢٢).

(٢) وهو ما ورد ذكره فى قوله تعالى: "**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ، لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ، لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً، فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ، فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ، وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ، وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ**" سورة الغاشية، الآيات (٨ ١٦).

(٣) سورة الغاشية، الآيات (١٧ ٢٠).

وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ بسطت حتى صارت مهاداً أنواع المخلوقات من البسائط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق (ﷻ)، فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك عقب به أمر المعاد ورتب عليه الأمر بالتذكير"(1) وكقوله تعالى: "**أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ، وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**"(2).

وفى هذا بيان للمنهج القرآنى فى الاستدلال والمحاجة، فإن المجادلين من خصوم القرآن قد ظهروا بأعنف مظاهر اللدد والعناد، وكان القرآن يسلك معهم مسالك متباينة بحسب ما تقتضيه الحكمة الإلهية فى موارد التنزيل، والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن الجدل القرآنى يتجه تارة إلى إرشاد المجادل والأخذ بيده إلى التفكير فى ملكوت السموات والأرض، والتأمل فى خلق الله وبديع صنعه"(3) عن طريق تنمية الملكات بفتح القلوب والعقول لتمارس وظيفتهاالتى هيأها الله لها، ولتقوده تلك الدلائل إلى الإيمان بالله تعالى والإقرار له بالوحدانية دون قسر أو إكراه.

وقوله تعالى: «**مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ**"(4) إن مهمة الرسول تكمن فى تبليغ دعوته للناس وإعلامهم بما كلفوا

---

(1) الإمام/ عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط الأولى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، عام ١٤١٨هـ.

(2) سورة ق، الآيتان (٥ ٧).

(3) الدكتور/ زاهر عواض الألمعى، مناهج الجدل فى القرآن الكريم، ص٧، ط الثالثة عام ١٤٠٤هـ.

(4) سورة المائدة: الآية (٩٩).

به من عند الله تعالى، فإذا فرغ من ذلك خرج عن العهدة"(١)، ويبقى الأمر من جانب المخالفين فى تحمل نتائج أعمالهم بعد البلاغ"(٢)، وقوله تعالى: "**وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ**"(٣) بل وردت آيات تحدد مهمة الرسول (ﷺ) على سبيل الحصر والقصر، بل الاستثناء المفرغ من ذلك قوله تعالى: "**إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ**"(٤) ومحل الشاهد فى الآية الكريمة قصر الدور الإبلاغى على الرسول (ﷺ)، وقصره (ﷺ) على الدور الإبلاغى(٥).

وبهذا المنهج لم يعلن الرسول (ﷺ) لأحد أنه يملك حسابه فيدخله الجنة أو النار، حتى يعلّم المتبعين عنه احترام تلك الخصوصية، وذلك من شأنه دعم طريق المجادلة الهادئ والوصول إلى أفضل النتائج، يدل عليه قوله تعالى على لسان رسوله: «**وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**"(٦)، وهذا المعنى شامل لكل من الرسول

(١) المراد بالعهدة هنا: الجانب التكليفى الوارد فى قوله جل شأنه: "**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**" سورة المائدة، الآية رقم (٦٧) حيث إن الله تعالى قد نبه إلى هذا الجانب كثيراً فى آيات عديدة منها.

(٢) الإمام/ فخر الدين الرازى (ت ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، ج١٢ ص٤٤٢، ط الثالثة، دار إحياء التراث العربي – بيروت، عام- ١٤٢٠هـ.

(٣) سورة الرعد، الآية رقم (٤٠).

(٤) سورة فاطر، الآية رقم (٢٣).

(٥) هذا من باب قصر الصفة وهى الإنذار على الرسول وقصر الرسول وهو المبلغ على الإنذار، فاجتماع الوجهين دال على حقيقة واحدة.

(٦) سورة الأعراف: جزء من الآية (١٨٨).

والمرسل إليهم، النذير والمنذرون، بدليل قوله (ﷺ): "لن يُدخل أحد عمله الجنة، قالوا ولا أنت يا رسول الله، قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته"(١)، وفي الحديث دلالة على إظهار سماحة الدين"(٢) فالأمر بيد الله تعالى وحده، فالخلق كلهم ينجون برحمة الله تعالى، فلا سبيل لأحد إلى شيء من الفضائل إلا بهداية اللَّه تعالى ورحمته"(٣) وأَنه لو قدر أَن الله عذب أحدا فَلَا يعذبه إِلَّا بِحَق لِأَنَّهُ يتعالى عَن الظُّلم"(٤).

ولو فطن المبلغون عن رسول الله (ﷺ) إلى طبيعة الإسلام ومنهجه في هذا الشأن لتغيرت أمور كثيرة، بدل أن يسوقوا الناس إلى ما يتصورونه ويتحول الأمر إلى جدل عنيف واتهام للإسلام بأنه يدعو إلى ما يقول به هؤلاء، مع أنها أفهامهم، وليست نصوص ربهم ومع هذا يجادلون حتى صار الواحد منهم، يرمي مخالفه بالرأي بالإلحاد في الدين"(٥).

---

(١) الإمام/ أبو عبد الله أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج١٦ ص٦٧، حديث رقم (١٠٠١٠)، ط الأولى، مؤسسة الرسالة، عام ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(٢) راجع للإمام/ أبو حامد الغزالى، إحياء علوم الدين، ج ٤ ص١٥١، ط دار المعرفة، بيروت.

(٣) راجع للإمام/ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، ص١١٩، دار النشر: دار السلام – القاهرة، عام ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

(٤) الإمام/ شمس الدين أبو عبد الله الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، المنتقى من منهاج الاعتدال، ص٥٠، المحقق: محب الدين الخطيب.

(٥) هذه النماذج ظهرت داخل البيئة الإسلامية في أواخر حياة الرسول (ﷺ) وكان مدعوا النبوة من أكثر الذين مارسوها، ومن جاء بعدهم من الفرق الضالة والنحل الفاسدة إلى يومنا هذا.

٢- احترام ديانة الآخر:

من حيث إن الداعي إلى الله تعالى يجب أن يكون مجادلاً بالحسنى، فإن لم يكن كذلك خرج عن القيام بهذا الواجب، ولابد من احترام معتقد الآخر، حتى يبين له فساده، ثم يسحبه منه بغية توقيفه على ما فيه السعادة، يدل عليه قوله تعالى: "**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**"(١)، بل أحياناً يتنزل المجادل في المنهج الإسلامي بحيث يضع الآلهة التي يعتقدها الآخر كأنها منصوبة أمامه، ثم يجعله يتحسس أوجه قصورها، بحيث يقف هو على أنها لا تصلح أن تكون آلهة، منها قوله تعالى: «**قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ**"(٢)، وفي المقابل يقول لهم: "**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**"(٣) يقول الإمام/ القاسمى: "وما أحسن ما رتب إبراهيم (عليه السلام) كلامه مع المشركين حين سألهم أولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم. ثم أنحى على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع. وعلى تقليدهم آباءهم الأقدمين، فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة، فضلا أن يكون حجةثم صور المسألة في نفسه دونهم حتى تخلص منها إلى ذكر الله عزّ وعلا، فعظم شأنه وعدد نعمته من لدن خلقه وإنشائه، إلى حين وفاته، مع ما يرجى في الآخرة من رحمته. ثم أتبع ذلك أن دعاه بدعوات المخلصين، وابتهل إليه ابتهال الأوّابين. ثم وصله بذكر يوم القيامة، وثواب الله وعقابه، وما يدفع إليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال، وتمني الكرة إلى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا"(٤).

---

(١) سورة الكافرون، الآية رقم (٦).

(٢) سورة الشعراء، الآيتان (٧٢)، (٧٣).

(٣) سورة الشعراء، الآية رقم (٨٠).

(٤) الإمام/ محمد جمال الدين القاسمى (ت ١٣٣٢هـ)، محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل عيون السود، ج٧ص٤٦٣، ط الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، عام ١٤١٨هـ.

وهو اتجاه طيب حيث أبرز ضعف آلهتهم وأبرز صورة من صـور القـدرة الإلهية التى تعبر عن صفات البارى سبحانه، فى وجه من ينكرونها، فكان بذلك مقدماً صورة رائعة لما ينبغي أن يكون عليه الجدل السلمي.

ومن الشواهد عليه أن الرسول (ﷺ) فى حواراته مع غير المسلمين، كـان يتنزل معهم عند عرضه مسائل العقيدة وأحكام الدين، تطبيقاً لتوجيهات القـرآن الكريم فى إثبات عقيدة التوحيد واستعمال الطريقة المباشرة فى هذا الشأن، وقـد أشارت إلى ذلك المنهج آيات كثيرة منها قوله تعالى: "**قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**"(١).

ومحل الشاهد فى حجاج الرسول (ﷺ) لغير المسلم، سلك معهم المسلك الذى يليق بهم ويتناسب مع عقولهم، ثم سألهم عن مصدر رزقهم سواء أكان من جهة السماء أم من جهة الأرض، فإن الرازق لن يكون سوى الله وحده الـذى يملـك هذا كله، فإذا لم يكن هذا المصدر معروفاً لديهم فقد وقعوا فى حيرة من أمـرهم وابان من طرف خفى لغة واضح الدلالة معنى أنه على هدى وأنتم فى ضـلال مبين.

ونلاحظ هنا أن القرآن فى إقامته للحجة مع المخالفين يسلك معهـم مـسلك الاستدلال بالآيات الكونية الدالة على وجود الخالق جل عـلاه، يقـول الإمـام/ القرطبى: "لما ذكر أن آلهتهم لا يملكون مثقال ذرة مما يقدر عليه الـرب قـرر ذلك فقال: قل يا محمد للمشركين"من يرزقكم من الـسماوات والأرض"أي مـن يخلق لكم هذه الأرزاق الكائنة من السماوات، أي عن المطر والـشمس والقمـر والنجوم وما فيها من المنافع. "والأرض" أي الخارجة من الأرض عـن المـاء والنبات- أي لا يمكنهم أن يقولوا هذا فعل آلهتنا- فيقولون لا ندري، فقل إن الله

---

(١) سورة سبأ، الآية رقم (٢٤).

يفعل ذلك الذي يعلم ما في نفوسكم. وإن قالوا: إن الله يرزقنا فقد تقررت الحجة بأنه الذي ينبغي أن يعبد"(١) فإذا لم يؤمنوا ويطيعوا فقد حاورهم وأدى مهمة الإنذار على الوجه الأكمل، ومن ثم يكر عليهم يوم لقاء الله بأنه بلغ لكنهم رفضوا الاستجابة.

من البين أن جدل خليل الرحمن كان واضح الغاية محدد الهدف حتى إذا انتهى مما رامه فقد بلغ وأنذر، وفى ذات الوقت فإن خليل الرحمن نبه إلى ضرورة تآلف الأدلة وتضافرها عندما يكون الحديث عن إثبات الذات الأقدس والصفات العليا، وهو نمط متكامل فى الاستدلال على العقيدة الإلهية، وبيان أن الذات والصفات فى مجال التقديس لايختلفان، وإنما فى مجال التشبيه والتجسيم يقع بينهما كل ألوان الخلاف.

ومحل الشاهد أن خليل الرحمن بين لهم أن ذات البارى وصفاته عاملة لاتنقضى، فعلمه شامل وإرادته مخصصة، وقدرته نافذة، وكل شئ عنده بمقدار يسمع ويرى، يدعى فيجيب ويستغاث به فيستجيب(٢) ثم بين لهم بالدليل العقلى والحس المشاهد أن آلهتهم تنفصل ذواتها عن صفاتها، فذواتها أجسام من حجر أو شجر أو ما كان من هذا القبيل أو هى أساطير نتجت عن خيالات غلب عليها التصور الساذج، وأن تلك الذوات ليست لها صفات فهى تفتقد العلم والإرادة،

---

(١) الإمام/ أبو عبد الله القرطبي (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن المسمى "تفسير القرطبي"، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ج١٤ ص٢٩٨، ط الثانية، دار الكتب المصرية – القاهرة عام، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

(٢) يدل عليه قوله تعالى: "**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**": سورة غافر، جزء الآية رقم (٦٠)، وقوله عز شأنه: "**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**" سورة البقرة، الآية رقم (١٨٦).

كما تفتقد السمع والبصر وسائر الملكات، وفوق ذلك فإنها عـاجزة عـن دفـع الضر الذى يصيبها فجاء هذا الدليل طريقاً للجدل الإيجابى والمحاورة الهادفة.

كما نلاحظ أن القرآن الكريم راعى فى الخطاب الجانب النفـسى للمخـالفين مقدراً ردود أفعالهم بحسب الطبيعة البشرية التى ربوا عليها وألفوهـا، فلربمـا يتوقفون في نسبته إلى الله مخافة أن تقوم عليهم الحجة، أمر الله رسـوله بـأن يجيب عن ذلك فقال: (قل الله) أي لاجواب سواه فهو الذي يرزقكم من السموات والأرض ثم أمره الله سبحانه أن يخبرهم بأنهم على ضلالة لكـن علـى وجـه الإنصاف في الحجة بعد ما سبق تقرير من هو على الهدى ومـن هـو علـى الضلالة فقال: "**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**" والمعنـى أن أحـد الفريقين من الذين يوحدون الله الخالق الرازق ويخصونه بالعبادة والذين يعبدون الجمادات التي لا تقدر على خلق ولا رزق ولا نفـع ولا ضـرر لعلـى أحـد الأمرين من الهدى والضلالة.

ومعلوم لكل عاقل أن من عبد الذي يخلق ويرزق وينفع ويضر هـو الـذي على الهدى، ومن عبد الذي لا يقدر على خلق ولا رزق ولا نفع ولا ضر هـو الذي على الضلالة، فقد تضمن هذا الكلام بيان فريق الهـدى وهـم المـسلمون وفريق الضلالة وهم المشركون على وجه أبلغ من التصريح وهذا وهذا أسلوب من الكلام المنصف تستعمله العرب في محاورتها لإرخاء العنان للمخاطب حتى إذا سمعه الموافق أو المخالف قال لمن خوطب به لقد أنصفك صاحبك"([1]).

---

(١) الشيخ/ أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، تفسير المراغـي، ج٢٢ ص٨١، ط الأولى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، عـام، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

وهو تقرير بليغ فى الفصل بين الطرفين المتجادلين دال على من هو على الهدى ومن هو فى الضلال المبين، لكن القرآن لايقطع الرجاء فى إمكان هدايتهم، فكان هذا الإبهام أبلغ من التصريح لأنه في صورة الإنصاف المسكت للخصم، يتضمن نوعاً من الحكمة وهو تلطف بهم في الدعوة إلى الإيمان إذا وفقوا له"(١).

هذا ومتأمل الآية بمعانيها السامية يجدها قد اشتملت على العديد من الجوانب:

الأول: جانب عقدى يتمثل فى طريقة الاستدلال على وجود الذات الإلهية.

الثانى: أدب المحاورة والذى تضمنه أسلوب التنزل مع الخصم مع مراعاة الدوافع الإنسانية، فلايكفى أن تعترف بوجود الآخرين ولكن يجب عليك فوق ذلك أن تحترمهم وتتلطف فى الخطاب معهم ما دمت معهم على مائدة الحوار.

الثالث: أن النبى (ﷺ) ينطلق فى معاملاته مع الآخرين بمقتضى الوحى الذى أوحاه الله تعالى إليه، وفى هذا دليل على إثبات نبوته.

ولو أن الدعاة إلى الله قاموا على هذا المنهج لما تصحرت عقولهم وتحجرت أحكامهم، وامتلأت بالقسوة نفوسهم، فما بالهم صدوا الناس عن دين الله، وكان الأولى بهم دعوتهم إليه جل علاه.

الأمر الثالث: العفة الأدبية:

طبيعة الإسلام الدعوة إلى الله تعالى، ولابد أن يكون ذلك على بصيرة لقوله تعالى: "**قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ**

(١) راجع للدكتور/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج٢٢ ص ١٧٩، ط الثانية، دار الفكر المعاصر – دمشق، عام، ١٤١٨هـ.

اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ"([1])، فإذا خرج الأمر عن هذا الإطار صار إلى غير بصيرة، ويترتب عليه سباب الآخر في ذاته ومعتقداته، حينئذ يقاوم ويمارس ردود الفعل، فيقع السباب والاختلاف بدل الاحترام والاتفاق، ويتحول الناس من الجدل السلمي، إلى العنف غير المبرر، وقد جاءت آيات القرآن الكريم، تعلم الداعي المسلم إلى هذا العفاف وتدفعه إلى التمسك به، يدل عليه قوله تعالى: "**وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ**"([2]).

لقد تعلمنا من منهج القرآن أن يواجه الأمر بالحسنى، حتى ولو كان المتجادل معه قد اشتهر بالفظاظة والغلظة يدل عليه أن الله تعالى لمّا أرسل موسى وهارون (عليهما السلام) إلى فرعون موسى قال له جل شأنه: "**فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**"([3]).

يقول الإمام أبو حامد الغزالي: "إنه لما كان الإسلام ذا طبيعة شمولية فقد علم المسلمين قيام الأمر عندهم على العفاف والمجادلة بالحسنى، بحيث يكون ذلك نظاماً عاماً بينهم ومدرسة يتخرج منها دعاتهم"([4]).

كما أن المجادلة التي يلتزم أصحابها العفاف فإنها تنقلهم من إطار النزعات الفردية والرغبات الإنسانية إلى إطار العلاقات المتبادلة بين العبد وربه في قوله (ﷺ) الذي يرويه عن ربه: "**وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته:**

---

(١) سورة يوسف، الآية رقم (١٠٨).

(٢) سورة الأنعام: جزء من الآية (١٠٨).

(٣) سورة طه: الآية (٤٤).

(٤) راجع للإمام أبي حامد الغزالي، سر العالمين وكشف ما في الدارين، ص٤٢١، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، ط دار الفكر العربي، بيروت.

كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه"(1).

يقول الشيخ/ الدينوري: "إن طبيعة الإسلام عفاف العقل وعفاف القلب، وعفاف الجوارح، فمن تخلق بها، حقق ما ارتبط به، ومن تخلى عنها خاب مسعاه، ولا حول ولا قوة إلى بالله"(2).

ولا يخفي أن العفة خلق إسلامي وجزء من طبيعة الإسلام وأدب من آدابه الراقية، وخلق من أخلاقه التي شملت الجوانب المختلفة، وتحولت بأصحابها من الحيوانية والشهوانية إلى الإنسانية ثم رفعتها إلى الملائكية وبخاصة أن الهدى الإلهي جاء بذلك في قوله تعالى: "**وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ**"(3) **وقوله تعالى**: "**فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ**"(4).

لقد كان الرسول (ﷺ) هو الأسوة، لقوله تعالى: «**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**"(5)، ثم جاء

---

(١) الإمام/ محمد بن إسماعيل البخارى، صحيح البخارى، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، كتاب الرقاق، باب التواضع، ج٨ ص١٠٥، ط الأولى، حديث رقم (٦٥٠٢) دار طوق النجاة، عام، ١٤٢٢هـ.

(٢) الشيخ/ محمود بن حسن الدينوري الشافعي، من رياض الإسلام (الموعظة الحسنة)، ص٢٣، ط دار محمد الوكيل عام ١٣١٧هـ.

(٣) سورة آل عمران، جزء الآية رقم (٧٩).

(٤) سورة النساء، جزء الآية رقم (١٧٣).

(٥) سورة الأحزاب: الآية (٢١).

أصحابه من بعده وفيهم القدوة حتى قال الرسول (ﷺ): "أصحابي كالنجوم فبأيهم أقتديتم أهتديتم"(١).

وقد سلك العلماء العاملون هذا المسلك مطبقين ذات المنهج عاقدين العزم على أن يبلغوا دعوة الله إلى خلق الله، وكان الجدل السلمي أحد الوسائل الفعالة التي أدت إلى نشر الإسلام في كثير من ربوع الأرض، حيث كان المسلمون، يجعلون العلماء زينة مواكبهم ويقدمونهم عند التحاور مع غيرهم"(٢).

وأنهم قد فتحوا مصر بهذا الطريق، بدليل أن عَمْر بن العاص حينما استأذن الصديق في فتح مصر، بين له أنه لا يحتاج إلا إلى أربعة آلاف رجل، فهل هذا العدد القليل يكفي لفتح مصر ابتداءً من القنطرة غرب وحتى الإسكندرية، ويمر بالمدن العديدة، ببلبيس وأم دنين (الأزبكية) وحصن نابليون، بل ويتفرع حتى

---

(١) هذا الحديث ورد فى كتاب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ينظر إليه البعض على أنه ضعيف نظراً للطريق الذي وقف عليه هذا البعض باعتبار وجود شيء ما في السند، وكأن ظواهر الآيات القرآنية تؤيده، ومنها قوله تعالى: « **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ** » "سورة الفتح: جزء من الآية (٢٩)"، ومنها أحاديث صحيحة تؤكده، كقوله (ﷺ)"النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون" الإمام/ مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب فضائل الصحابة (ﷺ) باب بيان أن بقاء النبى أمنة لأصحابه، ج٤ ص١٩٦١، حديث رقم (٢٠٧)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) راجع للدكتور/ عبد الفتاح شحاتة، الخلفاء الراشدون، ج٢ ص١٩٧، ط ثانية عام ١٩٧٤م.

يفتح البهنسا وصعيد مصر، بهذا العدد القليل الذي استشهد منه الكثيرون بسبب المرض أو السن أو غيره"([1]).

لقد أعلن الكثيرون من قسس النصارى أن عفة المسلمين في التعامل مع غيرهم كانت من العوامل الهامة التي ساعدت في اتساع حركة الفتح وتقبل أهل تلك البلاد لهم"([2]).

من المناسب القول بأن طبيعة الجدل السلمي في الإسلام اعتبرت العفاف الأدبي أحد المناهج التي يجب تطبيقها في الحياة العامة، وذلك ما ساهم في نشر تعاليم دين الإسلام، وازدياد الحركة النشطة للفتوحات الإسلامية، بجانب اتساع مداها على الجوانب المختلفة.

الأمر الرابع: التسامح الفعّال:

جاءت نصوص الإسلام حاثة على وضع الأمور في نصابها المشروع واعتبرت ذلك من القيام بالعزيمة، لكنها وسّعت لأصحاب الرخص فملك أصحاب الأعذار مساحة واسعة من الفقه الإسلامي برزت آثارها عند التطبيق العملي، وجاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لتحث على ذلك التسامح مستخدمة العديد من الصيغ النقلية منها قوله تعالى: «**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**"([3]).

واعتبرت أصحاب الأعذار مساحة واسعة يدخل فيها المسلم وغير المسلم، بدليل أن الاستجارة لغير المسلم صارت واجباً له عند المسلم بمجرد أن يطلبها

---

(١) الأستاذ/ إبراهيم حسن أبو الشعيشع، الفتوحات الإسلامية، ص١٩٥، وراجع للشيخ/ محمود نصر الله، الفتح الإسلامي لمصر ص١٢٤، ط أولى دار المهند عام ١٩٧٥م.

(٢) راجع للدكتور/ منصور حسن أبو السعود، عمرو بن العاص وفتح مصر، ص٩٣، ط عام ١٩٧٣م.

(٣) سورة الأعراف، الآية (١٩٩).

منه، أو يظهر من حاله حاجته إليها يدل عليه قوله تعالى: «**وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ**"(١).

لقد كان الرسول (ﷺ) يطبق التسامح في حياته العملية مع قدرته على الانتقام بدليل أنه في فتح مكة تمكن من رقاب أعدائه وفيهم من كان قد أقسم على الله لو تمكن منه لاقتص كالحال مع هند زوج أبي سفيان التي مثّلت بكبد حمزة ابن عبدالمطلب وقال (ﷺ) حينها لو أمكنني الله منهم لأمكن سبعين بحمزة"(٢).

وأنزل الله قرآنا يتلى يوجه الرسول (ﷺ) إلى إمكانية وقوع القصاص، ويقرر في النهاية أن العفو أولى عند المقدرة، والصبر دواء لكل مصيبة، في قوله تعالى: "**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ**"(٣).

لقد أظهرت التجارب العملية أن التسامح يفعل بالآخر أكثر مما تفعل العقوبة، يدل عليه أن رسول الله (ﷺ) في فتح مكة لما جاءته هند بنت عتبة زوج أبي سفيان وهي متخفية مرطها، وطلبت من رسول الله العفو الملفوف بعبارات التوقير والخوف، قال رسول الله (ﷺ)، ما تظنون أني فاعل بكم، قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال (ﷺ): "إذهبوا فأنتم الطلقاء"(٤).

لقد كان التسامح مدعاة لدخول الكثيرين في الإسلام وتحولهم من أعداء له إلى مدافعين عنه، وليس أدل على ذلك من تحول أبي سفيان إلى الانخراط في

---

(١) سورة التوبة، الآية (٦).

(٢) الشيخ/ عبد الصبور حسن الفولي، أحداث في حياة السول، ص١١٢، ط أولى، دار التوفيق عام ١٣١٣هـ.

(٣) سورة النحل: الآية (١٢٦).

(٤) راجع للشيخ/ محسن محمود زهدي، من شمائل النبوة العفو والتسامح، ص٤٥، ص٤٦، ط دار التوفيق عام ١٩٦٣م.

جيوش المسلمين الفاتحين حتى عندما فقد عينه بكى، ولما سئل في ذلك قال، كنت أتمنى أن تفقأ ألف مرة في سبيل الله، وتمنى أن تفقأ الثانية وأن يموت مجاهداً في سبيل الله"(١).

التسامح فضيلة وخلق كريم فيه إبراز قدرة الفرد الواعي على تقليم أظافر الشهوة من نفسه، وتحويلها إلى ما يتمنى وتخليتها عن أوجه قصورها وتزكيتها عن السقوط في شهواتها، يقول ابن عبد الحكم: "أن التسامح يرفع قدر صاحبه ويعلي من شأنه، ويرتب له في عقول الآخرين، بل ويفسح له مجالاً يصعب لغيره أن يملأه، وقد اكتسب أهل الإسلام ذلك من دين الإسلام، فصاروا إسلاماً يمشي بين الناس في الأرض"(٢).

لقد كان التسامح مع غير المسلمين معبراً عن طبيعة دين الإسلام مما شجعهم على الجدل السلمي وإحراز العديد من أوجه التعاون والاتفاق، يدل عليه ما حكى أن رجلاً وقف للرسول (ﷺ) على قارعة الطريق، ثم قال له يا بن عبدالله تزعم أنك نبي وليس بعد موسى سوى الكذبة، فلم يقف له الرسول (ﷺ)، فقال عمر بن الخطاب (وكان سائراً مع النبي (ﷺ)) إإذن لي يا رسول الله في ضرب عنقه، فقال (ﷺ) أتضربه في عنقه على سؤال يسأله ليّ، فقال الرجل أو بهذا يأمركم الدين الذي تدعون إليه، فابتسم الرسول (ﷺ) فقال الرجل أشهد أنك رسول الله وأن تلك أخلاق الأنبياء والمرسلين"(٣).

---

(١) الشيخ/ محمود عبد اللطيف المنياوي، الآداب الإسلامية وأثرها في الحضارة الإنسانية، ص٢٠٨، ط أولى دار سعادة عام ١٣٠٧هـ.

(٢) الشيخ/ محمد بن عبد الحكم صابر الحنفي، من آداب الإسلام، ص١١٣، ط أولى، دار رضوان ١٣٣٧هـ.

(٣) الأستاذ/ محمد علي نصر الله، من أخلاق الرسول (ﷺ) ص٩٧، ط أولى عام ١٩٤٥م، القاهرة.

ما من شك أن التسامح يجعل المتلقي له يراجع أمره، ويتناجى مع فؤاده، بل يسعى إلى مراجعة وجدانه، كأنه يقول: إذا كان العفو عند المقدرة خلقاً رفيعاً بحكم الفطرة فإن التسامح خلق أرفع بحكم العقل والجبلة.

لقد تسامح الرسول (ﷺ) مع أهل الطائف بعد حصاره لهذا شهراً أو يزيد، ثم لمّا فتحت له تسامح مع أهلها فمكنهم من ثمارها، واعتبرهم مقاسمين للمسلمين فيها، مما يؤكد أنه الحركة العاملة في الحياة الإسلامية، تستمد وجودها من سنة رسول الله (ﷺ)، وأنها متى طبقت على وجه صحيح حققت نتائج طيبة أعانت على تفهم المواقف دون أن تمارس عمليات الضغط الفكري على أحد، أو تمارس عمليات الضغط الفكري على أحد، أو تمارس عمليات الخداع لها، لأن الإسلام دين الله الخالد الذي يطبق كافة الأنماط على ناحية صحيحة، وحسبك أنه الدين الخاتم الذي ارتبطت به المصالح واستوعب المستجدات وغطى جميع الاحتياجات"([1]).

ولا يغرب عن ذي بال أن الجدل السلمي قد تكون له مظاهر بعضها كلامي خطابي، وبعضها كتابي يكون في تأليف الرسائل العلمية، أو الكتابات الأدبية، أو العمليات المقترنة بالمقارنة وهو ما يعرف بدراسات الأديان المقارنة، ومن ثم برزت في هذا الجانب اتجاهات عديدة كلها تقنن وضعاً يعبر عن إستراتيجية واقعية تفضي كافة الإشكاليات البحثية"([2]).

---

(١) راجع للشيخ/ محمد سليم رمضان، العفو في الإسلام، ص٤٨، ط أولى، دار أبو ريحان عام ١٩٨٥م.

(٢) المشكلات البحثية متعددة بعضها قام على أصول صحيحة وبعضها قام على هوى أصحابه، وبعض ثالث غلبت عليه نزعة الواقعية والقاعدة أن ما يقدم البرهان هو المقبول لقوله تعالى: «**قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**»"سورة البقرة: جزء من الآية رقم (١١١).

لقد قامت عملية الجدل السلمي في الكتابات المختلفة من قبل المسلمين على تقرير العقيدة الإيمانية بما يتلائم مع الظرف الذي يعيشه المؤلف نفسه، وفي ذات الوقت حرصت هذه الكتابات على مناقشة المعتقدات الأخرى من غير أن تخرج عن الإطار المنهجي، فلا إسفاف ولا تجريح ولا خروج عن القواعد المعمول بها على غيرها، ولذلك اتسمت تلك الكتابات بسمة الواقعية والمرونة والتماس الأعذار للآخر، وتحميل الألفاظ للمعاني التي مكن أن تخدم وجهة نظر الآخر وتبرأ ساحته، وتدفع به إلى احترام عقول الآخرين، والبحث عن الدين الذي إليه ينتسبون"(١).

ولا يخفى أن منهج الإسلام في هذه الجوانب قد حقق الكثير من النتائج في الماضي، ويمكن أن يحقق مثله في الحاضر متى صحت النوايا وظهرت النفوس وتحرك الكل يبتغي رضوان الله، وباتت الغاية نشر دين الله، فقد ضمن الله (ﷻ) تحقيق الأهداف المنشودة بعد إظهار المقدمات المعهودة فذلك من سنن الله في خلقه، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا.

---

(١) كانت الكتابات التي يقوم بها المسلمون الأوائل تغلب عليها مسحة التسامح الفكري وتقرير المعتقدات كما هي لدى أصحابها، وكان الإمام الغزالي يقول: "داروا عوراتهم لا تهتكوا أسرارهم، والتمسوا الأعذار لهم، فلأن يهدي الله واحداً من علمائهم خير من عُبّاد أمة لا عالم فيهم". راجع فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ص١٤٨ ضمن مجموعة القصور العوالي في رسائل الإمام الغزالي، تحقيق الشيخ/ أبو العلا عفيفي، ط مكتبة الجندي بالقاهرة.

الخاتمة

تعتبر الخاتمة من النتائج العملية للبحث، وبالتالي يعني الدارسون بها عناية كبيرة من حيث إنها تُمثل تلخيصاً دقيقاً لأهم نتائج البحث، وفي ذات الوقت، تعطي الباحث فرصة تقديم جملة من التوصيات مع أخرى من المقترحات طبقاً لما يتاح له، بحيث يقدم خدمة علمية لطلاب البحث الذين يكونون بحاجة إلى استقراء الواقع العلمي واستكساب أسراره، وسبر أغواره، دون أن يوغلوا في الأرض الرخوة ومن ثم فإني أقدم ما يلي:

أولا: أهم النتائج:

١- أن الإسلام علُم بذاته، لا يحتاج إلى قراءات طويلة أو مجهودات ذهنية متواصلة في الوصول إليه، لأنه دين الفطرة، وكل فرد طبع عليها، وبالتالي فاستجابة كل فرد لنداء الفطرة، إنما هو تحقيق لواقعه الذاتي، وتأكيد على ممارسة حقه الإنساني.

٢- أن الإسلام مَكّنِ للإنسان في استعمال حرياته الأساسية حرية التفكير وحرية التعبير وحرية الاعتقاد، حتى صار ذلك من أساسياته ولم يُعد وسيلة من وسائله، وذلك مما يؤكد أنه دين الله للعالمين.

٣- أن نصوص الإسلام علمت المسلم الجدل المنهجي، بحيث إذا مارسه وصل إلى نتائج صحيحة نظراً لقيامه في الأصل على مقدمات يقينية، وبالتالي يكون هذا الإنسان الواعي المطبق لذات المنهج، يقدم خدمات لذاته وغيره.

٤- التأكيد على أن الجدل السلمي في الإسلام له موازين، قيامها على نصوص القرآن ونصوص السنة الصحيحة المطهرة، وبالتالي فكل شيء يتم داخل هذا النطاق بكون منهجياً من كافة جوانبه.

٥- إبراز قيمة الجدل السلمي في الإسلام باعتبار أنه يعقد المصالحة بين الإنسان وذاته، وبينه وأقرانه، وبينه وخصومه وذلك من شأنه تحويل الجميع إلى أن يكونوا أصدقاء بدل أن كانوا أعداء.

٦- إتاحة الفرصة لذوي الاتجاهات المتعددة حتى يقوموا سلوكياتهم لما ينبغي أن يكون عليه الفرد الواعي، وذلك مما يحقق أعلى النتائج الإيمانية.

٧- إبراز دور الجدل السلمي في توثيق عرى العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغيرهم، بدليل أنه حرص المسلمين على التعاون مع غير المسلمين ومودتهم طالما كانوا عوناً لهم، ولم يكونوا عيوناً عليهم، ومن ثم حقق الجدل السلمي أعلى النتائج بين المسلمين وغيرهم.

ثانيا: أهم التوصيات:

تعتبر التوصيات بمثابة لجنة علمية مهمتها البحث عن جوانب يمكن الرجوع إليها وتطبيقها داخل إطار البحث ذاته، وبناءً عليه فإني أقدم التوصيات التالية:

١- ضرورة إجراء نوع من المصالحة الفكرية داخل الجماعة الإسلامية في الوقت الراهن، بحيث تكون قاعدة قبول الآخر ذات تطبيق عملي، إذ ليس من المعقول أن تكون نصوص الإسلام داعية إلى هذه المعاملة، ويأتي المنتسبون للإسلام فيرفضونها لأن ذلك المعبر عن الخروج على دائرة الإتباع والوقوع في جريمة الابتداع.

٢- الاهتمام بالإطار الديني في الجانب التطبيقي حتى تبرز مظاهر الإسلام وجوانبه الإيجابية من خلال إطار عملي يستهدف تحقيق المصلحة المشروعة من الناحية الفردية والجماعية.

٣- الاهتمام بمحاور الجدل السلمي، والتركيز على أنها تعتبر معايير ثابتة يمكن الاهتداء إليها والتطبيق عليها في ظل الانفتاح العلمي والثقافي إبان العصر الذي نعيشه.

٤- إتاحة الفرصة المتوازية لأولئك الذين لديهم انفتاح ثقافي معرفي من حيث إنهم الذين يستطيعون توظيف إمكانياتهم في خدمة الجدل السلمي مع غير المسلمين، وهم في ذات الوقت أصحاب منهج توضيحي يقوم أساسه على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فيتحقق فيه أمر الإبداع والإتباع.

٥- التركيز على ظاهرة الفروق الفردية، وتبني أصحاب المواهب الامتيازية حتى يقوموا بدورهم في الدعوى مع تربيتهم على ما يحقق تلك الغاية حيث يكونون أقدر على النهوض بمسائل الجدل السلمي وغيره، وهو ما يعرف بالتخصص في المنهج.

٦- ضرورة تفعيل النصوص الإسلامية على أرض الواقع وبخاصة ما يتعلق منها بالجدل السلمي، ومتى أمكن الوقوف على هذا الجانب فمن المؤكد أن المصالح المرتبطة به سوف تتحقق على أكمل الوجوه وأوفاها وما ذلك على الله بعزيز.

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

القرآن الكريم ـ جل من أنزله.

١. المصادر والمراجع مرتبة حسب حروف الهجاء، مع تقديم اسم الشهرة للمؤلف بعد تجريده من حرف (أل) ــ إن وجد ــ ثم ذكر اللقب العلمي، واسم الكتاب، والطبعة، وتاريخ الطبع، واسم المطبعة ــ إن وجد.

٢. (ابن حنبل) الإمام/ أبو عبد الله أحمد (ت ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط،عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط الأولى، مؤسسة الرسالة، عام ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٣. (ابن فارس) الإمام/ أبوالحسين أحمد (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، باب الفاء والطاء ومايثالثهما، المحقق: عبد السلام محمد هارون، ط دار الفكر، عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤. (ابن منظور) العلامة محمد بن مكرم، لسان العرب، باب اللام، فصل الجيم، ط الثالثة، دار صادر - بيروت عام ١٤١٤هـ.

٥. (أبوالسعود) الدكتور/ منصور حسن، عمرو بن العاص وفتح مصر، ط عام ١٩٧٣م.

٦. (أبوالشعيشع) الأستاذ/ إبراهيم حسن، الفتوحات الإسلامية، وراجع للشيخ/ محمود نصر الله، الفتح الإسلامي لمصر، ط أولى دار المهند عام ١٩٧٥م.

٧. (الجوهرى) راجع للأستاذين / أحمد الجوهرى، محمد مصطفى، الإسلام والآخر، ط القاهرة.

٨. (الذهبى) الإمام/ شمس الدين أبو عبد الله (ت ٧٤٨هـ)، المنتقى من منهاج الاعتدال، المحقق: محب الدين الخطيب.

٩. (الأصفهانى) الإمام/ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب (ت ٥٠٢هـ)، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار النشر: دار السلام - القاهرة، عام ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١٠. (الأصفهانى) الإمام / أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب (ت ٥٠٢هـ)، المفردات (جزء ٤، ٥: من الآية ١١٤ من سورة النساء – وحتى آخر سورة المائدة)، تحقيق ودراسة: د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، ط الأولى، كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى، عام ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

١١. (الألمعى) الدكتور/ زاهر عواض، مناهج الجدل فى القرآن الكريم، ط الثالثة عام ١٤٠٤هـ.

١٢. (الأندلسى) الإمام/ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيدبن حزم (ت ٤٥٦هـ)، الإحكام في أصول الأحكام،المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، ط دار الآفاق الجديدة، بيروت.

١٣. (الآمدى) الإمام/ أبوالحسن على بن محمد سيف الدين (ت ٦٣١هـ)، غاية المرام في علم الكلام،المحقق: حسن محمود عبد اللطيف، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة.

١٤. (البخارى) الإمام/ محمد بن إسماعيل، صحيح البخارى، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط الأولى، دار طوق النجاة، عام، ١٤٢٢هـ.

١٥. (البستانى) المعلم/ بطرس، قطر المحيط، ط بيروت عام ١٨٦٩م.

١٦. (البقاعى) الإمام/ إبراهيم بن عمر بن أبي بكر (ت ٨٨٥هـ)، نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور، ط دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

١٧. (البنهاوى) الشيخ/ منصور حسن، الإسلام دين الله، ط دار سعادة، ١٣٠٦هـ.

١٨. (البيضاوى) الإمام/ عبد الله بن عمر (ت ٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط الأولى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، عام – ١٤١٨هـ.

١٩. (البيلى) الشيخ/ محمود نور الدين فتح الله، الجدل طريقة الوصول للحق، ط أولى، دار عبدالنعيم عام ١٣٠٧هـ.

٢٠. (التهانوى) الإمام/ محمد بن على (ت بعد ١١٥٨هـ)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقله من الفارسية إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، ط الأولى، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت– ١٩٩٦م.

٢١. (جاويش) الشيخ / عبدالعزيز، الإسلام دين الفطرة، ط وكالة الصحافة العربية، جيزة، مصر عام ٢٠١٩م.

٢٢. (جبر) راجع للدكتور/ علي جبر، محاضرات في العقيدة الإسلامية، ط الدار الفنية بالقاهرة، عام ١٩٦٣م.

٢٣. (الجرجانى) كتاب الإمام/ الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، التعريفات، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، عام ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٢٤. (الجندى) الأستاذ / أنور، منهج الإسلام فى بناء العقيدة والشخصية، ط دار الاعتصام، القاهرة.

٢٥. (الجونغورى) الشيخ/ عبد الرشيد، شرح الرشيدية على الرسالة الشريفية للسيد الشريف/ محمد بن على الجرجانى (ت ٨١٦هـ)، ص١٤، تحقيق الدكتور/ على مصطفى الغرابى، ط الأولى، مكتبة الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة عام ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

٢٦. (الحنفى) الشيخ/ محمد بن عبد الحكم صابر، من آداب الإسلام، ط أولى، دار رضوان ١٣٣٧هـ.

٢٧. (الدينورى) الشيخ/ محمود بن حسن، من رياض الإسلام (الموعظة الحسنة)، ط دار محمد الوكيل عام ١٣١٧هـ.

٢٨. (الرازى) الإمام/ أبو عبدالله محمد بن عمر فخر الدين، مفاتيح الغيب، ط ثالثة، دار التراث العربي – بيروت، عام ١٤٢٠هـ.

٢٩. (رضوان) الدكتور/ صالح محمد، هذا دين الله، وراجع للدكتور/ عبدالحليم محمود، الإيمان والإسلام، ط دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة.
٣٠. (رمضان) الشيخ/ محمد سليم، العفو في الإسلام، ط أولى، دار أبو ريحان عام ١٩٨٥م.
٣١. (الريس) راجع للدكتور/ محمد ضياء الدين، النظريات السياسية الإسلامية، ط رابعة، دار النهضة المصرية عام ١٩٨٤م، وراجع للدكتور/ عبد الرازق السنهوري، فقه الخلافة.
٣٢. (الزحيلى) الدكتور/ وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط، ط الأولى، دار الفكر – دمشق، عام ١٤٢٢هـ.
٣٣. (الزمخشرى) العلامة/ أبو القاسم محمود بن عمرو(ت ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط الثالثة، دار الكتاب العربي – بيروت عام– ١٤٠٧هـ.
٣٤. (الزمخشرى) العلامة/ أبو القاسم محمود بن عمرو (ت ٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، عام ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
٣٥. (زهدى) الشيخ/ محسن محمود، من شمائل النبوة العفو والتسامح، ط دار التوفيق عام ١٩٦٣م.
٣٦. (السرجانى) الدكتور/ راغب، فن التعامل النبوى مع غير المسلمين، ط أولى، دار أقلام للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة عام ٢٠١٠م.
٣٧. (السرجانى) الدكتور/ راغب، المشترك الإنسانى نظرية جديدة للتقارب، ط ألأولى، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، عام ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.
٣٨. (السعدى) الشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط الأولى، مؤسسة الرسالة، عام ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م.

٣٩. أبوالليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندى (ت ٣٧٥) تحقيق: الشيخ/ على محمد عوض وآخرين، ط أولى، دار الكتب العلمية، بيروت، عام ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٤٠. (السيوطى) الإمام/ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت ٩١١هـ). معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، المحقق: أ. دمحمد إبراهيم عبادة، ط الأولى، مكتبة الآداب، القاهرة / مصر عام، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
٤١. (شحاتة) الدكتور/ عبد الفتاح، الخلفاء الراشدون، ط ثانية عام ١٩٧٤م.
٤٢. (الصقلى) وراجع للشيخ/ محمد منصور، المعونة في الجدل، ط الرباط عام ١٩٦٧م.
٤٣. (الطبرى) الإمام/ محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٤٤. (عبدالباقى) راجع للأستاذ محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، باب السين، ط دار الكتب المصرية عام ١٣٦٤هـ.
٤٥. (العينى) الإمام/ أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين (ت ٨٥٥هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٤٦. (الغزالى) الإمام/ أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ)، معارج القدس في مدراج معرفة النفس، ط الثانية، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ١٩٧٥م.
٤٧. (الغزالى) الإمام/ أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ط دار المعرفة، بيروت.
٤٨. (الغزالى) الإمام /أبوحامد محمد بن محمد، سر العالمين وكشف ما في الدارين، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، ط دار الفكر العربي، بيروت.

٤٩. (الغزالى) الإمام/ أبوحامد محمد بن محمد، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، ضمن مجموعة القصور العوالي في رسائل الإمام الغزالي، تحقيق الشيخ/ أبو العلا عفيفى، ط مكتبة الجندي بالقاهرة.

٥٠. (الغزالى) الإمام/ أبوحامد محمد بن محمد، المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط الأولى، دار الكتب العلمية، عام، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٥١. (الفراء) القاضى/ أبو يعلى ىمحمد بن الحسين بن محمد بن خلف (ت ٤٥٨هـ)، العدة في أصول الفقه، تعليق: الدكتور/ أحمد بن علي بن سير المباركي، ط الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م. بدون.

٥٢. (الفيروزآبادى) العلامة/ مجدالدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، **ط الثامنة**، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، عام ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥م.

٥٣. (الفيومى) الشيخ/ أحمد بن محمد بن علي (ت نحو ٧٧٠هـ)،المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، باب الجيم مادة (جدل) ط المكتبة العلمية – بيروت.

٥٤. (القاسمى) الإمام/ محمد جمال الدين (ت ١٣٣٢هـ)، محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل عيون السود، ط الأولى، دار الكتب العلميه – بيروت، عام ١٤١٨هـ.

٥٥. (القرطبى) الإمام/ أبو محمد مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، ط الأولى، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة عام، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٥٦. (القرطبى)الإمام/ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبـي بكـر بـن فـرح الأنصاري (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن المسمى "تفسير القرطبي"، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط الثانية، دار الكتب المصرية – القاهرة عام، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.
٥٧. (الكفوى) الشيخ / أيوب بن موسى الحسينى أبو البقاء (ت ١٠٩٤هـ) معجم "الكليات"المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.
٥٨. (الماتريدى) الإمام/ محمد بن محمود أبو منصور (ت ٣٣٣هـ)، تفسير الماتريدي ٥٦هـ (تأويلات أهل السنة)، المحقق: د. مجدي باسلوم، ط الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، عام، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
٥٩. (المراغى) الشيخ/ أحمد بن مصطفى (ت ١٣٧١هـ)، تفسير المراغي، ط الأولى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر عام، ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م.
٦٠. (المعجم) المعجم الوجيز، مجمع اللغة للعربية، ط وزارة التربية والتعليم المصرية.
٦١. (محمود) الدكتور/ يوسف، المنطق الصورى، ط أولى، دار الحكمة، الدوحة عام ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
٦٢. (مصطفى) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم وآخرين، ط دار الدعوة، القاهرة.
٦٣. (المعجم) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة.
٦٤. (ملكاوى) للدكتور/ محمد أحمد خليل، عقيدة التوحيد فى القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة محمد بن سعود بالرياض.
٦٥. (المنياوى) الشيخ/ محمود عبد اللطيف،الآداب الإسلامية وأثرها في الحضارة الإنسانية، ط أولى دار سعادة عام ١٣٠٧هـ.

٦٦. (الميدانى) الشيخ/ عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة(ت ١٤٢٥هـ)، صراع مع الملاحدة حتى العظم، ط الخامسة، دار القلم، دمشق، عام ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٦٧. (النسفى) الإمام / أبو البركات عبد الله بن محمود (ت ٧١٠هـ)، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط الأولى، دار الكلم الطيب، بيروت، عام ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٦٨. (نصر الله) الأستاذ/ محمد علي، من أخلاق الرسول (ﷺ)، ط أولى عام ١٩٤٥م، القاهرة.

٦٩. (النعمان) الإمام/ أبوحنيفة (ت ١٥٠هـ)، الفقه الأكبر، مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة تأليف محمد بن عبد الرحمن الخميس، ط الأولى، مكتبة الفرقان – الإمارات العربية، عام ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

٧٠. (النفراوى) للدكتور/ سيد مرسي عبدالحميد النفراوي، النفس غير السوية وأخطارها المجتمعية، ص٨١، ٨٢، ط مكتبة سعيد رأفت بالقاهرة، عام ١٩٨١م.

٧١. (النكلاوى) الشيخ/ محمد بن علي، الإيمان والإسلام، ص٤٣، ط أولى، دار اليمن السعيد، ١٣٠٥هـ.

٧٢. (هيفر) الدكتور/ إدوارد، الجدل ومشكلات الصحة النفسية، ترجمة ناهد صابر، ط أولى ١٩٩٣م، دار الجيل، بيروت.

٧٣. (وجدى) الأستاذ/ محمد فريد، حاجة الناس إلى الدين، مقال نشر بمجلة الأزهر، العدد ج٢ السنة ٩٤، صفر ١٤٤٢هـ ـ أكتوبر ٢٠٢٠م.

فهرس الموضوعات

